الإنسانية 52

الإعلاميون .. شهودًا على الحرب

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد الثاني والخمسون
ربيع/صيف 2011

كاريكاتور

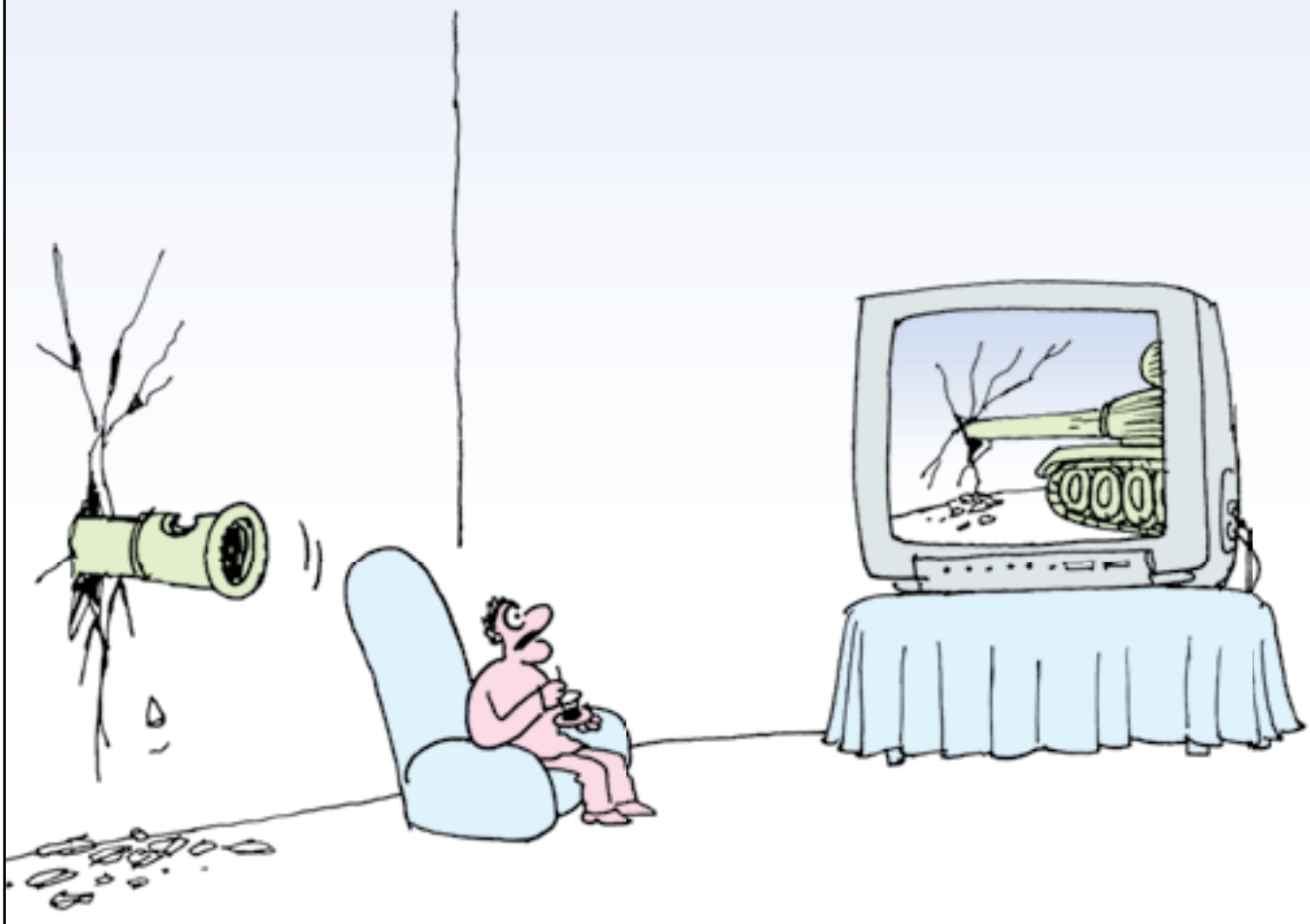

الرسم: **عبد الرحيم ياسر**، العراق

أن تكون شاهدًا حيًّا

شكلت حرب الخليج الثانية في تسعينيات القرن الماضي نقلة نوعية في التغطية الإعلامية للحروب. فقد كانت هذه الحرب أول الصراعات المتلفزة، بمعنى أن أحداثها كانت تُنقل في أحيان كثيرة مباشرة على الهواء، حتى لتشعر في بعض الأحيان كأنك تشم رائحة البارود والحرائق المتصاعدة! لكن هذا الأمر ما كان ليصبح واقعا لولا عنصران أساسيان: التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال الذي شهده الإعلام في القرن العشرين، والمراسلون الميدانيون الذين وافقوا على التواجد في تلك المنطقة المشتعلة لنقل أحداثها بالرغم من الخطر.

لعل هذا النوع من الصحافة، التي تقوم على تغطية الحروب، أصعب أنواع الصحافة. فهو نوع العمل الذي يتطلب من الصحافي ألا يكون واعيا للأحداث المحيطة به، ومسجلا لها فقط، بل أيضا واعيا لمخاطرها، لما يمكن لذلك أن يؤثر على سلامته الشخصية وحياته في أحيان كثيرة. وهي النوع الوحيد، تقريبا، الذي يمكن فيه للصحافي أن يتحول من ناقل للخبر إلى الخبر نفسه... لكنه بالتأكيد ليس خبرا سعيدا.

وفي ظل تزايد النزاعات المسلحة في المنطقة العربية، ولاسيما مع انتشار حالات العنف الداخلي التي لا تنطبق عليها في أحيان كثيرة القوانين الدولية التي تحمي المدنيين ومنهم الصحافيون، كاتفاقيات جنيف الأربع، تزيد متاعب هذه المهنة وتصبح حماية الصحافيين أصعب. ففي العام 2011 وحده قتل 55 صحافيا حول العالم منهم اثنان في مصر وخمسة في ليبيا وواحد في تونس وستة في اليمن وسبعة في العراق، بحسب منظمة «مراسلون بلا حدود»، ما يعني أن حوالي 40 في المئة من الصحافيين الذين لقوا حتفهم كانوا يغطون أحداثا في منطقتنا.

وإذا كان القانون الدولي الإنساني يحظر استهداف الصحافيين باعتبارهم مدنيين وليس لكونهم فئة خاصة، فإن مسؤولية حماية الصحافي تقع بالأساس على الصحافي نفسه. من هنا تأتي أهمية الملف الذي يتناوله هذا العدد من «الإنساني» والذي يتضمن شهادات لعدد كبير من الصحافيين المعروفين على مستوى المنطقة، غطوا حروبا متنوعة وخرجوا منها بتجارب واستنتاجات آثروا مشاركتها مع غيرهم من الصحافيين علها تفيدهم في ممارسة عملهم في الميدان. كما تشكل هذه الشهادات مادة غنية للقراء لفهم طبيعة العمل الصحافي، ودعوة لهم لتسهيل عمل الصحافيين وحمايتهم، لأنهم الوسيط الأساس الذي ينقل حقيقة ما يجري على الأرض للعالم كله، بتقاريرهم وصورهم وأفلامهم. ومن دونهم قد يصبح أي حدث أو مأساة أو حرب كأنه لم يكن!

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير **زينب غصن**
مدير التحرير **ياسر الزيات**
المستشار القانوني **د. عامر الزمالي**
مستشارا التحرير **هشام حسن**
محمد بن أحمد

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_csc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني **أحمد اللباد**

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

REUTERS

REUTERS

صحافيون يختبؤون خلف عربة للتليفزيون، ويحاولون أداء عملهم، أثناء فض احتجاجات في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

52

ربيع/صيف 2011

الصومال: لا صوت يعلو فوق صوت الموت ..... سارة نور الدين 05

الرعاية الصحية عند خطوط إطلاق النار ..... إيف داكور 09

عناقيد الموت: الضحايا يحلمون بعالم أفضل ..... سمر القاضي 10

الملف: الإعلاميون.. شهودا على الحرب 13

أخلاقيات تغطية النزاعات المسلحة ..... ريم علي 14

صحافة تحت الاحتلال ..... د. غانم النجار 17

باتريك باز: كثيرون يريدوننا «عميانًا» ..... ماري كلير فغالي 18

العراق: تجربة أديب في عالم «المراسل الحربي» ..... جواد الحطاب 20

الكويت 1991: الحرب بالإعلام ..... وليد الفراج 22

أفغانستان: الكاميرا سلاح ..... مازن أمان 23

العالم في حرب: تجارب متنوعة ..... عمرو عبد الحميد 26

الغجر الجدد ..... آمال عويضة 28

10 لقطات من تشاد: البهجة في قلب المأساة ..... آ. ع 30

صحافيون في خطر: هنا الخط الساخن ..... دوروثيا كريميتساس 34

غوانتانامو: السعادة على الجانب الآخر من الشاشة ..... عدنان حزام 36

النساء المعيلات في العراق: مشكلة تنتظر الحل 38

«الحرب السيبرانية» والقانون الدولي الإنساني (حوار) 44

الجذور الرقمية للاحتجاجات العربية ..... إيف غونزاليس-كيخانو 47

مبدعون عراقيون مهاجرون: بورتريه للوطن في الغربة ..... فردوس العبادي 50

بلا رتوش: حكاية صبحي الممزق بين وطنين ..... معوض رشيد 52

شعر: قصيدتان ..... لينا الطيبي 54

من أركان العالم 55

سارة نور الدين*

رحلة النزوح من الجنوب إلى مقديشو سيرا على الأقدام

الصومال: لا صوت يعلو فوق صوت الموت

هي رحلة تجمع مئات الآلاف ممن فروا من قسوة الحياة في الجنوب الصومالي، يقطعون مئات الكيلومترات سيرا على الأقدام وسط صحراء قاحلة. وعلى الرغم من طول الرحلة إلا أنها باتت أهون من معاناة البقاء في الجنوب حيث الجوع القاتل.

* صحافية مصرية

REUTERS

REUTERS

ربما لا يستطيع غير الصوماليين وصف المعاناة التي تمثلها رحلة النزوح من الجنوب إلى **مقديشو**. وعلى الرغم من صعوبة الرحلة، فإن النساء النازحات لم تعد في عيونهن دموع يذرفنها عندما يتذكرن أطفالهن الذين قضوا خلالها، أو اضطررن إلى تركهم لمصيرهم في الطريق.

«**تركت ثلاثة من أبنائي في الطريق إلى مقديشو. لم أستطع حمل الأربعة، وأنا أسير على قدميّ كل هذه المسافة**»، هكذا قالت **حريجة**، إحدى السيدات اللاتي نزحن إلى **مقديشو**. ظهر على ملامح السيدة إعياء شديد فقط، وكانت قد وصلت لتوها إلى العاصمة الصومالية بعد أن سارت مسافة 600 كيلومتر على الأقدام.

استكملت **حريجة** قائلة إن «**الرحلة من منطقة بيدابا الجنوبية إلى مقديشو استغرقت 3 أشهر**»، وهي تعتبر أن الحظ حالفها بالوصول إلى مقديشو على قيد الحياة، هي وأحد أبنائها الأربعة، بعد أن تركت ثلاثة في الصحراء، ومات أحدهم أمام عينيها، ولم تستطع حتى دفنه، بينما تركت أخاه بجواره بعد أن ارتفعت درجة حرارة جسده الصغير، فاشتبهت في إصابته بمرض مميت، وتركته يلقى مصير أخيه.

تقول **حريجة**: «**في بيدابا كنا نعمل في الزراعة، وظللنا طوال الأعوام الماضية نأكل مما نزرع، إلا أن الجفاف وعدم سقوط الأمطار أودى بحياة أرضنا، فلم نجد ما نأكله، بالإضافة إلى أن الحرب حول قريتنا لم تسمح بمرور مواد الإغاثة**».

عشرات السيدات والرجال يفترشون الأرض في **مخيم الدبكة**، وهو أحد أكبر مخيمات النازحين في **مقديشو**، في انتظار الحصول على حصصهم من مواد الإغاثة، وهي عبارة عن مخزون يكفي شهرا، يتكون من جوالي دقيق وعبوة زيت ولفة تمر. تقول **حليمة** إحدى النازحات، إن هذه «**المعونة جيدة**» وكافية بالنسبة لها ولأسرتها.

قصتها قد لا تختلف كثيرا عن عشرات النساء اللاتي تركن موطنهن الأصلي في الجنوب بسبب الجوع والحرب: «**أسرتي كانت مكونة من زوجي وأربعة أطفال صغار، لكنني الآن مع زوجي وطفلين فقط، فقد تركت طفلين في الطريق، توفي أحدهما بعد أيام قليلة من السير في الصحراء، والآخر لم نستطع حمله بعد إصابة والده بضربة شمس قوية وإعياء شديد وارتفاع درجة حرارته**».

جاءت أسرة حليمة من منطقة **ديسون** الجنوبية أيضا: «**لم نكن ننوي الرحيل عن بلدتنا، فزوجي لا يجيد سوى العمل في الحقل وكل أهالي ورجال القرية يعملون في الزراعة،**

وبعد فترة من تحدي الجفاف القاسي انتهى كل ما لدينا من مخزون الطعام في البيت، ولم يعد أمامنا سوى النزوح».

وترك **جمال** وراءه أسرة مكونة من والدته وزوجته وطفلين يبلغان من العمر سنتين وثلاث سنوات، وفر من القرية التي كان يقطن فيها. بالنسبة له فإن الخروج سالما من قريته ليس بالأمر السهل، إلا أنه– كما يقول– لم يكن أمامه سوى هذا الحل.

الشيخ **يعقوب** هو الآخر أحد النازحين من منطقة **بيدابا**، يبلغ من العمر 80 عاما، بدأ رحلته قبل ثلاثة أشهر، فقد خلالها ابنه الأكبر وحفيدين يبلغان من العمرثلاث سنوات. وكما يقول، فإن رحلته كانت أسهل من كثيرين على الرغم من طولها، فبعد سيره على قدميه فترة طويلة لم يستطع تقديرها فاجأته سيارة أحد الشباب المارين على الطريق، وحمله معه حتى نقطة على بعد 30 كيلو مترا من العاصمة الصومالية، بعدها سار هذه المسافة وجاء ليستلم بعضا من المساعدات له ولأسرته.

في **مخيم الدبكة**، وعلى امتداد البصر، تجد آلاف الأطفال ممن يعانون من سوء تغذية حاد مختلط بأمراض الإسهال الشديد وتجعد الجلد. لم يتلق أغلبهم علاجا فاحترق جلده وتقشر بسبب نقص المعادن في الدم، مثل **سليم وسمية** البالغين من العمر ثلاثة أشهر، ولا يتجاوز وزنهما معا ثلاثة كيلوجرامات. هما توءم يعاني من سوء تغذية شديد لدرجة أنهما لا يبكيان ولا يتحركان كثيرا مثل الأطفال في عمرهما. بالكاد يحركان أقدامهما. حملت والدة التوأم أحدهما من الخيمة إلى مكان توزيع الإغاثات الغذائية،تقول: «**قتل زوجي أثناء الاشتباكات المسلحة، والآن لدي هذا التوأم وطفلة أخرى تكبرهما**».

لا تتوافر هناك أدنى معايير السلامة الصحية والأمنية .. وعندما يموتون تباعًا يدفنون في مقبرة أمام المخيم

في شوارع أحياء مدمرة .. يعيش آلاف الصوماليين .. وتنهار أسقف المنازل على رؤوسهم .. ولا حل سوى خيمة من فروع الشجر

الحياة والموت في مكان واحد

على بعد أمتار من المخيم تقع مدرسة تضم 10 فصول دراسية تحولت الآن إلى مستشفى ميداني، يتجمع الآلاف أمام بوابته يوميا في انتظار دورهم في الكشف الطبي والغذاء. وبمجرد فتح بوابة المدرسة/ المستشفى تتدافع النساء اللاتي يحملن أطفالهن للدخول إلى الكشف. وبجوار الفصل قاعة درس تحولت إلى مطبخ حيث يقع مكان توزيع الطعام المطبوخ على النازحين. وقف المئات في صفوف انتظار تبدأ في تمام الساعة 11 صباحا، وتجمهر عدد من الأطفال للوقوف أمام عدسة الكاميرا يطلبون تصويرهم.

سألناهم أن يرفع كل من مات له أخ جوعا يده، فرفعوا أيديهم جميعهم، ليؤكدوا موت أشقاء لهم أصغر منهم أو أكبر بسبب سوء التغذية والأوبئة، يقول محمد: «**مات ثلاثة من إخوتي في الشهرين الماضيين تباعا، ولم يتبق لوالدي سواي، ولا أريد أن أموت مثلهم لأني رأيت أمي تبكي عندما دفناهم**».

يموتون تباعا ويدفنون في مقبرة تقع أمام المخيم مباشرة. وعلى بعد أمتار أخرى يقع مخيم آخر يؤوي آلافا آخرين، ولا تتوافر أدنى معايير السلامة الصحية والأمنية في هذه المخيمات، ولو نشب حريق وسطها أو على أطرافها سيصبح كل من فيها مرشحا للموت حرقا، قال لي أحد سكان تلك المخيمات: «**هربنا من موطننا لأننا لم نجد ما نأكله، ولو شب حريق هنا ستأكلنا النار**».

في مستشفى **بنادر** مآسٍ أخرى. هو المستشفى الأكثر تطورا في **مقديشو**، إن جاز تعبير التطور، ويستقبل يوميا مئات الحالات الجديدة من المصابين بكافة الأمراض بالإضافة إلى استقباله مصابي الاشتباكات المسلحة. يساهم أطباء من جنسيات مختلفة بكثير من الجهد داخله، بجانب عدد قليل من الأطباء والمتطوعين الصوماليين من الشباب، ولا يتقاضى الصوماليون أجورا مقابل عملهم المستمر داخل المستشفى، لأنه لا توجد وزارة ولا حكومة، ولا خزينة للدولة ولا رواتب للمواطنين.

يقول **هشام عيسى**، وهو طبيب مصري من الأطباء المتطوعين في المستشفى: «**عندما أتينا إلى هنا، وجدنا سيدة تنزف ولم نصدق أنها نزفت 3 لترات من الدم، حتى استطعنا تدارك الموقف، وإجراء جراحة بسيطة لها ليتوقف النزيف، ثم نقلنا لها كيسين من الدم لتستطيع الوقوف** ●●●

على قدميها من جديد. على الرغم من أنها كانت بحاجة إلى جراحة بسيطة جدا لكن الإمكانيات والعلم غير متوفرين هنا».

نقل الدم هو الآخر أمر ليس مضمونا في المستشفى، على حد قول **عيسى**، لأن هناك إجراءات يجب أن تتم قبل نقل الدم لا يعتقد أنها تتم بالفعل، يقول: «**نقل الدم مسألة ليست سهلة، لابد من أخذ عينة من المتبرع، ثم تحليلها للتأكد من عدم نقلها لأي وباء ثم مطابقتها وتحليل مدى توافقها مع المريض الذي سينقل له الدم، ولا أعتقد أن كل ذلك يجري داخل المستشفى في ظل حالته المتردية وعدم وجود تجهيزات**».

مريم طفلة صغيرة لا تعرف والدتها كم عمرها بالضبط، لكنها تؤكد أنها لا تتجاوز السنتين، امتلأ جسدها الصغير بالحروق، يقول طبيبها المعالج إن نقص المعادن في الجسم بسبب سوء التغذية يتسبب في احتراق الجلد، كانت مريم تتألم وتبكي بشدة بمجرد أن لمسها الطبيب.

بجوارها ترقد **مليلة** البالغة من العمر ثلاث سنوات، لا يمكن لمن يراها أن يدرك أنها تبلغ تلك السنوات بسبب ضآلة جسدها: رأس صغير جدا، وعينان جاحظتان. تقول والدتها: «**أتيت بها إلى المستشفى بعد أن علمت أن هناك أطباء مصريين جاءوا لإنقاذ الأطفال، فلم يكن في المستشفى أطباء من قبل، لكني اكتشفت أن المشكلة ليست في الأطباء، بل في تجهيزات المستشفى والعلاج غير المتوافر**».

يتكدس في المستشفى عدد كبير من الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية الشديد، بينما تودي **الكوليرا**، وأمراض لم يتم تشخيصها بعد بدقة، في ساعات قليلة، بحيوات عشرات الأطفال. ويعاني المستشفى من نقص حاد في الزنك والأغذية وحليب الأطفال والأدوية المخصصة لهذا النوع من سوء التغذية الشديد، علاوة على أن غالبية أنواع المضادات الحيوية التي يطلبها الأطباء غير متوافرة باستمرار، على الرغم من المساعدات المتدفقة إلى المستشفى. يقول أحد الأطباء: «**قبل إرسال المساعدات لابد من دراسة احتياجات المستشفى، فهناك تكدس في بعض الأدوية غير الضرورية في الوقت الحالي، في حين يشح حليب الأطفال الضروري لإنقاذ حياتهم**».

تاريخ مهدد بالاندثار

في كل اتجاه من **مقديشو** تجد آثارا للدمار والحروب، لم يعد في المدينة جدار بيت سليم لم تضربه إحدى المقذوفات، يقول **عمر**: «**نعيش وسط تهديد يومي، لا شيء آمن، كل شيء حولنا مهدد بالانهيار في أية لحظة، نريد إنهاء الحرب والعيش في سلام**».

يضيف **عمر**، الذي يعيش مع أسرته داخل منزل مهدم بالكامل، أنه نجا من القتال الذي دار حول منزله، وفر بعيدا، وبعد عودة الهدوء إلى وسط العاصمة عاد ليتفقد منزله وممتلكاته: «**أثناء القتال مات أبي وأحد أطفالي، ويبلغ من العمر خمس سنوات، جراء قذيفة سقطت على المنزل أثناء فرارنا منه، لم ألتفت ورائي لتفقدهم لكنني اكتفيت بإنقاذ زوجتي وطفليّ الآخرين**».

بين شوارع الأحياء المدمرة، تعيش آلاف الأسر الصومالية، تنهار أجزاء من المنازل فوق رؤوسها، وليست لديها فرص أخرى للعيش سوى إقامة خيمة بفروع الشجر على جانبي الطريق أو في الخلاء، لا تحمي من أشعة الشمس الحارقة نهارا ولا من الزواحف والأوبئة التي تحيط بهم من كل جانب.

تحولت «المنطقة التاريخية» في مدينة **مقديشو** القديمة إلى مأوى هي الأخرى، فأصبحت المباني التاريخية التي تحكي حضارة هذه البلاد، منازل دون سقف للآلاف من النازحين من قرى ومدن الجنوب، فلم تكتفِ المجاعة والحرب الدائرة منذ عقود على هذه الأرض بإزهاق الأرواح وتشريد الملايين، لكنها امتدت لتقضي على تاريخ طويل جسدته هذه المنطقة على مدار الزمن، فالمدينة القديمة التي كانت مطمعا للمستعمرين والفاتحين، أصبحت اليوم مجرد جدران تقي النساء والأطفال شر الحياة على قارعة الطرقات.

تقول **سمار** إحدى ساكنات المنطقة التاريخية: إن تاريخ هذه المنطقة لا يعني لها شيئا سوى إيوائها فقط. جاءت **سمار**، مع أخواتها وأطفالهن، من أطراف **مقديشو** لتحتمي بجدران هذه المباني، وهي لا تعرف شيئا عن تاريخها كما تقول: «**ربما لا نعرف قيمة لهذه المباني لكن لم يعد في هذه البلاد شيء له قيمة بعد معاناة أهلنا المتكررة، نخرج من كارثة إلى كارثة تالية، ولا نعرف موعدا لانتهاء كل ذلك**» ■

REUTERS

الرعاية الصحية عند خطوط إطلاق النار

إيف داكور*

عُمَر شاب رائع يبلغ من العمر تسع عشرة سنة. في ظل القتال المحموم والخسائر الفادحة في مسقط رأسه مصراته، صمّم عُمر على المساعدة بأي طريقة ممكنة، متطوعًا. وسرعان ما سُلم سيارة إسعاف كي يقودها. ومع أنه لا يملك أية خبرة سابقة في ذلك، يجلس عمر أمام مقود سيارة الإسعاف، يشغّل محركها، ويقودها، برفقة طاقم طبي، وسط إطلاق النار من أجل نقل المقاتلين الجرحى من خطوط الجبهة الأمامية. ووسط هذا المشهد، يوشك عمر وطاقمه أن يصبحوا هم أيضا ضحايا.

في المستشفى، يرى عمر مشاهد محزنة. أطفالٌ في عداد الضحايا. أقرباء مفجوعون يَرثون مَن لم يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة. وفي ظل ظروف صعبة للغاية، ونقص حادّ في الأدوية والمعدات، يقوم الطاقم الطبي بكل ما بوسعه من أجل معالجة أعداد كبيرة من المدنيين والمقاتلين الجرحى. هذا ما يشهده عمر يوميًا. وفي آخر النهار، تراه مستلقيًا، منهكًا، على النقالة الموجودة في سيارة الإسعاف متغافلًا عن إطلاق النار المستمر من حوله.

صوّر أحد الصحفيين على شريط فيديو تجربة عمر والمخاطر التي يواجهها مع زملائه العاملين في مجال الرعاية الصحية. مع ذلك، هناك آلاف الشباب من أمثاله في ليبيا وحدها، يتطوعون في جمعية الهلال الأحمر، وغالبًا ما لا تُسجل تجاربهم أو يُفاد عنها.

وفي بعض الحالات، تُستهدف سيارات إسعاف أو مستشفيات استهدافًا مباشرًا، الأمر الذي يؤدي إلى قتل أو جرح موظفين في مجال الرعاية الصحية أو مرضى. ففي بداية العام الجاري، تعرضت للقصف سفينتان تحملان المساعدات الإنسانية وتجليان الجرحى من ليبيا. وفي حالات كثيرة أخرى، ضايق مقاتلون عاملين في مجال الصحة أو هددوهم، بهدف عرقلة علاج أعدائهم المصابين أحيانًا أو طلب الإمدادات أحيانًا أخرى. كما تُمنع سيارات الإسعاف عمدًا من الوصول إلى المصابين أو يجري تأخيرها لساعات عند نقاط التفتيش. وفي الواقع، ينتهك كلّ حادث من تلك الحوادث حق المصابين والمرضى في تلقي الرعاية الصحية.

تحصل هذه الأمور في النزاعات المسلحة في العالم بدرجة تبعث على القلق. فمن كولومبيا إلى غزة إلى الصومال وصولًا إلى أفغانستان، كثيرًا ما يشيع عدم احترام صارخ للوضع المحايد للمرافق الصحية ووسائل النقل الصحي والموظفين.

وهذا الوضع لا ينطبق على حالات الحرب فحسب. فعلى سبيل المثال، في بعض المناطق في المكسيك، تدخل مجموعات إجرامية باستمرار إلى عيادات ومستشفيات، فتقتل أشخاصًا بعينهم وتختطف موظفين في المجال الطبي.

ويبين تقرير جديد للجنة الدولية حجم هذه المشكلة. فالتقرير الذي يستند إلى بحوث أُجريت في 16 بلدًا خلال ثلاث سنوات تقريبًا منذ عام 2008، يوثّق لمختلف أشكال العنف ضدّ وسائل الرعاية الصحية. بيد أنه، وفيما يثير عدد الحوادث المسجلة الصدمة، يصعب أكثر استيعاب أن هذه الحوادث لا تمثل سوى غيض من فيض.

فبالإضافة إلى الأثر المباشر للهجمات على البنى التحتية للرعاية الصحية أو العاملين في هذا المجال، هناك تداعيات طويلة الأمد ولا محدودة على مجتمعات محلية بأكملها، من مشاكل صحية مزمنة أو مشاكل ذات صلة بالحرب. ونذكر من الأمثلة على ذلك القنبلة التي أودت بحياة طبيبين والعديد من طلاب الطب خلال حفل تخرج في العاصمة الصومالية مقديشو في كانون الأول/ديسمبر 2009 والتي أدت إلى أضرار تتعدى الخسائر في الأرواح. فهي أدت أيضًا إلى ضياع آلاف الاستشارات الطبية المحتملة سنويًا في بلد تشهد فيه منشآت وخدمات الرعاية الصحية أصلًا ضغطًا مستمرًا.

ويشكل العنف ضدّ مرافق الرعاية الصحية والموظفين في هذا المجال إحدى القضايا الإنسانية الأكثر خطورة والمغفلة مع ذلك في الوقت الحاضر. فالعنف ليس بغيضًا من الناحية الأخلاقية فحسب، بل إنه أيضًا غير قانوني بموجب القانون الدولي.

غير أنه في جميع الحالات، تنتهك أطراف النزاع والجماعات المسلحة عمدًا القوانين التي تعيقها. وتتطلب هذه المشكلة انتباهًا دوليًا عاجلًا. فعندما يتم تجاهل رموز الحماية مثل شارة الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر على نحو سافر، لن يقدّم أي كيس رمل أو أي زجاج مضاد للقنابل أية حماية للعاملين في الرعاية الصحية أو للمرافق التي يعملون فيها.

ويكمن التحدي الحقيقي في إيجاد السبل لمنع حصول الانتهاكات في المقام الأول. وهو تحدٍ كبيرٌ، ويتطلب التصدي له تكثيف الجهود الدولية. وتؤدي كل من الدول، والجهات من غير الدول، والقوات المسلحة، والجهات المانحة، والمنظمات الإنسانية، والمجتمعات المحلية، والعاملين في الرعاية الصحية دورًا محددًا في إذكاء الوعي بالخسائر البشرية الهائلة الناجمة عن العنف ضدّ وسائل الرعاية الصحية، وفي ضمان الحدّ منها. ويجب على المشرعين الوطنيين والمحاكم الوطنية تحمل المسؤولية لضمان اعتراف التشريعات المحلية بالمسؤولية الجنائية لمنتهكي القانون الدولي الإنساني، وضمان إنفاذ هذه التشريعات على أرض الواقع، مع محاسبة مرتكبي الانتهاكات.

لقد آن الأوان للعمل. فالمسألة مسألة حياة أو موت لآلاف العاملين في مجال الرعاية الصحية، مثل عُمر، ولعدد لا يُحصى من المحتاجين إلى المساعدة ■

* المدير العام للجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف

ICRC

عناقيد الموت:

الضحايا يحلمون بعالم أفضل

سمر القاضي*

جاءوا إلى العاصمة اللبنانية بيروت من أنحاء متفرقة من العالم، يتكلمون بصوت واحد ويحملون رسالة واحدة إلى المجتمع الدولي: "تصرف الآن، انضم إلى حملة حظر الذخائر العنقودية". هؤلاء هم ضحايا الأسلحة العشوائية التي ألحقت الدمار، ومازالت، في ما لا يقل عن 21 بلدا في أربع مناطق من العالم، في أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا وأوروبا.

قوبل نحو 20 شخصا من الضحايا، من بينهم نساء ورجال وشباب، بحفاوة بالغة عند صعودهم على المنصة أثناء الاجتماع الثاني للدول الأطراف في الاتفاقية المعنية بالذخائر العنقودية الذي عقد في **بيروت** للتحدث نيابة عن آلاف الناجين من هذه الذخائر. وفي البيان المشترك الذي ألقته نيابة عن الناجين، قالت **أينالم زينيبيه** من إثيوبيا : "**نهيب بالدول أن تتخذ تدابير فورية وتقدم المساعدة للناجين من الذخائر العنقودية للتخفيف من معاناتهم. فنحن، ضحايا الذخائر العنقودية، نريد الحصول على نفس فرص العيش والعمل المتاحة للجميع حتى نشارك بفاعلية في مجتمعاتنا المحلية**".

شارك في المؤتمر الذي استمر خمسة أيام في الفترة من 12 إلى 16 أيلول/ سبتمبر، واستضافه لبنان الذي يعد من أكثر الدول المتأثرة بالقنابل العنقودية، وفود من نحو 130 دولة، منها 109 دول موقعة على الاتفاقية إضافة إلى مئات من ممثلي المجتمع المدني ومنظمي الحملات المناهضة للقنابل العنقودية والألغام. جاء ضحايا الذخائر العنقودية الذين أصبحوا من منظمي حملات القضاء عليها من البلدان الملوثة بالألغام، ليتقاسموا تجاربهم المؤلمة متكاتفين معا من أجل تعبئة الجهود لنصرة قضيتهم.

وعلى اختلاف ثقافاتهم وبلدانهم، وبالرغم من آلاف الكيلومترات التي تفصل بينهم، تصطبغ رواياتهم بصبغة واحدة وهي المعاناة الإنسانية. التجربة واحدة بالنسبة إلى **تي** من فيتنام و**تون** من كمبوديا و**أمديجان** من طاجيكستان و**زهرة** من لبنان، تجربة يمتزج فيها الألم والشجاعة والبقاء على قيد الحياة.

نادي تي

يعود **تي**، البالغ من العمر 53 عاما، بذاكرته إلى الوراء مجترا آلام الحادث الذي أفقده ساقه اليمنى وذراعه اليمنى: "**في البداية كنت أريد أن أموت، فحياتي دُمرت تماما، ولم أعد أطيق العيش**". ويضيف: "**أنا مزارع من مقاطعة تقع في وسط فيتنام. وفي أحد أيام العام 1977، وأثناء قيامي بزراعة الأرز في الحقل أصبت جراء انفجار قنبلة عنقودية. كان عمري آنذاك 22 عاما، وكنت العائل الرئيسي لأسرتي**".

قضى **تي** أشهرا عديدة في المستشفى ساءت خلالها الحالة المادية لأسرته. أبواه العجوزان وأشقاؤه وشقيقاته، أصبحوا أكثر فقرا بعد أن انقطع الدخل الذي كان يأتي به. "**كنت منهارا ومكتئبا تماما، وأردت أن أنهي حياتي، لكني تراجعت عندما تذكرت ما قد يسببه ذلك من ألم لأبويّ وإخوتي الذين قدموا لي المساندة والمساعدة المعنوية حتى أتغلب على هذه الصدمة**".

يرى **تي** أن الحظ حالفه إذ تبنت حالته إحدى المنظمات اليابانية غير الحكومية بعد زيارة لها للمقاطعة التي يقطنها، ومنحته طرفين اصطناعيين مكناه من معاودة عمله كمزارع، وإن كان بوتيرة أكثر بطئا بكثير وأقل إنتاجية مقارنة بالماضي. وبعد مرور ثلاث سنوات، جمع الحب بينه وبين "**فتاة طبيعية**" صارت زوجته. وكان هذا اللقاء نقطة تحول وبداية لحياة جديدة بالنسبة إلى **تي** الذي أصبح اليوم أبا لثلاثة أطفال. كرس **تي** حياته لصالح ضحايا القنابل العنقودية، فقد أسس في قريته ناديًا يتلقى فيه الضحايا الدعم المعنوي ويتحدثون عن تجاربهم المؤلمة، ويحصلون على المساعدة لتحسين حياتهم. "**ينبغي على البلدان التي تحتوي على مناطق ملوثة، وأيضا على منتجي القنابل العنقودية، وبلدان العالم أجمع الانضمام للاتفاقية الآن. وجود هذه الأسلحة يشكل جريمة ضد الإنسانية، وحتى لا يضطر المزارعون مثلي إلى مواصلة العيش تحت وطأة الخوف من الوقوع في شراك أسلحة ينبغي إزالتها لصالح أبنائنا والأجيال المقبلة**".

عودة إلى الحياة

أما **تون** فقد حالت ابنته ذات الثلاث سنوات دون دخوله في حالة من اللاوعي. جاء تون إلى الدنيا عشية الحرب الأهلية في كمبوديا في العام 1960، وتعرض للنزوح عدة مرات. كان في سن المراهقة عندما اضطر إلى تحمل مسؤولية أمه وشقيقاته الثلاث وأخيه بعد وفاة الأب: "**لم يكن هناك عمل أو طعام أو أي شيء، كان علي طلب المساعدة في مخيم للاجئين تديره الأمم المتحدة على الحدود التايلاندية–الكمبودية، إلا أن المساعدات كانت، بكل أسف، مقصورة على النساء والأطفال. لم يكن أمامي أي خيار للحصول على الملبس والمأكل سوى الالتحاق بالجيش، حيث يجري توفير الزي العسكري والغذاء. وهكذا صرت ●●●**

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية، بيروت

إعلان بيروت 2011

الاجتماع الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الذخائر العنقودية

1 نحن، ممثلي الدول الأطراف في اتفاقية الذخائر العنقودية، إلى جانب ممثلي دول أخرى بصفتهم الموقعين، والأمم المتحدة، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، والائتلاف المناهض للقنابل العنقودية، بالإضافة إلى منظمات ومؤسسات دولية ومحلية أخرى قد اجتمعنا في الاجتماع الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الذخائر العنقودية في بيروت، من أجل إعادة التأكيد على التزامنا بوضع حد للضرر الذي تسببه الذخائر العنقودية، ونعمل تحت شعار:"معا من أجل حياة آمنة".
كما نرحب بأكثر من 30 دولة غير موقعة على الاتفاقية، حضرت الاجتماع كمراقب لإظهار التزامها بالأهداف الإنسانية للاتفاقية.

2 كما أننا نرحب بنتائج الاجتماع الأول للدول الأطراف الذي عقد في فينتيان، وبالالتزامات المذكورة في إعلان فينتيان 2010 (ملحق 1) وفي خطة عمل فينتيان (ملحق 2). نسعى إلى إحراز التقدم بناء على هذه الالتزامات من خلال عملنا في الاجتماع الثاني للدول الأطراف والاجتماعات التالية.

3 ونحن سعداء بالتقدم الذي تحرزه الدول في تنفيذ هذه الاتفاقية. وكما يظهر في تقرير بيروت للتقدم المحرز، يتم تدمير المخزونات، وتطهير الأراضي الملوثة، كما تُبذل جهود مضاعفة لمساعدة ضحايا الذخائر العنقودية، إلى جانب توفير التعاون والمساعدة الضرورية لهذه المهام.

4 في الوقت نفسه، نقر بالتحديات المذكورة في تقرير بيروت للتقدم المحرز، ونحن مصممون على تجاوز هذه التحديات، باستذكار التزامات الدول الأطراف المنصوص عليها في خطة عمل فينتيان ذات الخمس سنوات في سبيل إحراز تقدم في تطهير وتدمير المخزونات، إلى جانب توسيع نطاق الخدمات للضحايا والناجين وزيادة مستوى الموارد المخصصة لهذه المهام.

5 وها نحن نجتمع في لبنان، وهو بلد آخر تضرر بشكل كبير من الذخائر العنقودية، وقد شهدنا التأثيرات المدمرة لهذا السلاح على الأفراد، وعائلاتهم ومجتمعاتهم. وهذا ما دفعنا إلى تذكر أهمية التقدم في عملنا في سبيل معالجة المشاكل المتعلقة بالذخائر العنقودية التي يواجهها اللبنانيون إلى جانب أشخاص كثيرين حول العالم. لذا، وبناء على أحكام هذه الاتفاقية، نحن الدول الأطراف، نعاود التأكيد على التزامنا بتحقيق التزامات الاتفاقية من دون أي تأخير.

6 لا يزال الدور الرائد الذي أظهرته كل من جمهورية لاوس الديموقراطية الشعبية ولبنان، إلى جانب الناجين الكثر من الذخائر العنقودية والأشخاص الذين تضرروا من هذا السلاح يشكلون المفتاح الأساس لنجاحنا. وإن مدى حصول المجتمعات المتضررة على المساعدة التي تحتاجها سيعتبر مقياسا لنجاحنا.

7 كما أننا نشجب استخدام الذخائر العنقودية في النزاعات الحديثة، وبالطبع ندين استخدام الذخائر العنقودية التي تسبب أذى غير مقبول للمدنيين وللأشياء من قبل أيٍّ كان. تناقض هذه الأفعال روح وهدف الاتفاقية وتؤدي إلى تفاقم المشاكل الإنسانية التي سببها الاستخدام المسبق لهذه الأسلحة. ندعو جميع الذين ما زالوا يستخدمون الذخائر العنقودية، بالإضافة إلى الأشخاص الذين يقومون بتطويرها، وإنتاجها، أو حتى اقتنائها، والمساعدة، والتشجيع والتحفيز على إنتاجها، وتخزينها، والاحتفاظ بها ونقلها، ندعوهم إلى التوقف الآن، والانضمام إلينا في مهمة القضاء عليها.

8 كما أننا نرحب بالدول الـ 63 التي صدقت وانضمت إلى الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية منذ الاجتماع الأول للدول الأطراف. كما أننا نقدر الدول التي شاركتنا في جهودنا المبذولة في سبيل توقيع الاتفاقية. وإذ ندعوهم للمصادقة عليها بأسرع وقت ممكن ونحث الدول غير الموقعة على الانضمام إلى الاتفاقية من أجل الحرص على تحقيق الاتفاقية بشكل كامل وفي أقصر وقت ممكن. وباجتماعنا في لبنان، نلحظ أن هناك انضماما لعدد قليل من دول الشرق الأوسط ودول شمال أفريقيا إلى الاتفاقية، ونحث جميع بلدان المنطقة وخارجها على الانضمام إليها بأسرع وقت ممكن. فإن هدفنا الذي نسعى إلى تحقيقه هو التوصل إلى التزام عالمي بهذه الاتفاقية.

9 نرحب بوضع برنامج عمل ما بين الدورات للعام 2012 إلى جانب وضع الاجتماع الثالث للدول الأطراف، خططا لإنشاء وحدات دعم التنفيذ التي تعتبر آلية مهمة من شأنها تسهيل عمل الدول الأطراف في تنفيذ الاتفاقية وتحقيق التزاماتها الواردة في خطة عمل فينتيان، بما في ذلك العوامل المحددة بمهل زمنية في مناطق التطهير، وتدمير المخزونات ومساعدة الضحايا.

10 نقر بأن التقدم الذي تم إحرازه منذ الاجتماع الأول للدول الأطراف، وخلال مسار أوسلو يعتبر نتيجة للشراكة الناجحة بين الدول، والمنظمات الدولية والمجتمع المدني. وإن الحفاظ على هذه الشراكة هو شرط أساسي لضمان هذه الاتفاقية وتنفيذها إلى جانب تعميمها عالميا وإحراز تقدم. معا، نستطيع أن نقوم بالمزيد، ما دام يوجد أفراد في خطر، من أجل تحقيق هدفنا الجامع ألا وهو "عالم خال من الذخائر العنقودية".

ICRC

جنديا رغما عني".

وكان **تون** يؤدي عمله على الحدود في العام 1981 عندما داس على لغم ففقد ساقيه. كانت زوجته في الشهر الرابع من حملها. يقول **تون**: **"حاولت إطلاق النار على نفسي ولكن رفاقي منعوني".**

وبعد أن أمضى ستة أشهر في المستشفى، عاد **تون** إلى مخيم للاجئين مع زوجته وابنته الوليدة. يقول: **"لم تمثل لي ولادة ابنتي شيئا، فلم يكن هناك شيء يعنيني. كنت قد استسلمت تماما لمشاعر اليأس إلى أن جاءت إلي ابنتي قائلة: أبي، هل لك أن تعطيني مالا لأشتري بعض الطعام؟ لم يكن عمرها سوى ثلاث سنوات. هزتني بشدة كلمات الصغيرة وأيقظتني فجأة من حالة اللامبالاة والزهد التي كنت فيها، وبدأت أفكر في القيام بشيء من أجلها، ومن أجلي أيضا، وفكرت كيف يمكنني أن أعمل على درء مخاطر الألغام. لقد ساعدتني ابنتي على العودة إلى الحياة من جديد".**

تلقى **تون** تدريبا مهنيا في إحدى المنظمات الإنسانية غير الحكومية التي بدأت تتوافد على كمبوديا. واستغرق الأمر سنوات حتى استطاع التكيف مع حالته واكتساب مهنة جديدة. وهو الآن يعمل نجارا ماهرا متخصصا في صناعة الكراسي المتحركة للمعاقين. أشار إلى الكرسي المتحرك الذي يجلس فوقه قائلا: **"صنعته لنفسي. أنا أصمم الكراسي المتحركة لجميع من يحتاجون إليها في كمبوديا بأشكال وأحجام تتناسب مع الكبار والصغار والمسنين".** قطع **تون** رحلة طويلة منذ الحادث الذي وقع له. واليوم، يجوب العالم بوصفه المتحدث باسم الآلاف من ضحايا الألغام والقنابل العنقودية. **"نحن نتوق إلى اليوم الذي تنضم فيه بلدان العالم بأسرها إلى الاتفاقية الخاصة بالقنابل العنقودية. وعلينا السعي من أجل ذلك، وممارسة الضغط من أجل إزالة الألغام والقنابل العنقودية من على وجه الأرض تماما. والأمل في المستقبل هو الرهان الأساسي".**

ضد الطفولة

يحتل الأطفال المرتبة الثانية بعد الكبار من الذكور في قائمة ضحايا الذخائر العنقودية، نظرا لأنها تمثل عامل جذب بالنسبة لهم من حيث الشكل والحجم واللون. **زهرة** و**أمديجان** كانا دون الحادية عشرة من العمر عندما مزقت الأسلحة العشوائية حياتيهما، وسلبت منهما البراءة والطفولة. كان **أمديجان** يلهو خارج منزل جدته في جنوب طاجيكستان، عندما وطأت قدم رفيقه في اللعب قنبلة عنقودية. أما **زهرة** فقد اجتذبها الحجم الصغير للقنبلة التي كانت على هيئة علبة أقلام تلوين عثرت عليها قرب منزلها في جنوب لبنان. ما لبثت أن التقطتها حتى انفجرت في يدها التي... كان لا بد من بترها.

فقد **أمديجان** ساقه في الحادث الذي تسبب أيضا في إلحاق إصابات خطيرة برفاقه: **"قضيت ثلاث سنوات في المستشفى، حيث حاول الأطباء إنقاذ ساقي المهشمة، ولكن دون جدوى. وكان البتر هو الحل الأخير".** اضطر **أمديجان** إلى ترك المدرسة لأكثر من ثلاث سنوات. لم يكن مهتما باستكمال دراسته، وترك اليأس من المستقبل يتمكن منه، لكنه عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره، وبمساعدة أسرته، انضم إلى أحد مراكز إعادة التأهيل، وعاد مرة أخرى إلى صفوف الدرس.

اليوم، يبلغ **أمديجان** من العمر عشرين عاما، ويدرس حتى يصبح مبرمج حاسوب. يقول والأحلام بالمستقبل تملأ رأسه: **"أريد أن أعمل لحساب شركة عالمية. فأنا أتعلم اللغة الإنجليزية الآن، وأحاول تعديل مسار حياتي".** وفي الوقت نفسه، انضم **أمديجان** إلى الحملة الدولية لحظر الألغام والذخائر العنقودية: **"هذه هي المرة الأولى التي أشارك في هذه الحملة هنا في اجتماع بيروت، وأريد أن أقول للضحايا الآخرين تمسكوا بالأمل فأنتم قادرون على تخطي محنتكم وفعل شيء مفيد لأنفسكم. فشأننا شأن الناس العاديين، علينا أن نحصل نحن الضحايا على الحقوق نفسها في العمل والاندماج في المجتمع من جديد".**

نحو تدابير عملية

تشتمل الاتفاقية المعنية بالذخائر العنقودية على مجموعة التزامات محددة زمنيا في مجال إزالة الألغام وتدمير المخزون منها، وتوفر آلية لقياس التقدم نحو مساعدة الضحايا، وتحث على عولمتها. وعلى الرغم من أن المنتجين الرئيسيين لم يوقعوا على الاتفاقية، فإن الرد القوي على استخدام القنابل العنقودية من جانب الدول الأطراف يزيد من إلصاق وصمة العار بهذه الأسلحة.

ومهّد استخدام القنابل العنقودية، في الأيام الأخيرة من الحرب اللبنانية– الإسرائيلية في العام 2006، الطريق أمام حظر هذه الأسلحة العشوائية. وفي الكلمة التي ألقتها عند افتتاح الاجتماع الثاني للدول الأطراف الذي عقد في **بيروت**، قالت نائبة رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر **كريستين بيرلي**: **"لبنان عاش تجربة قلبت جميع الموازين، إذ أظهرت للعالم كيف لوثت ملايين القنابل مناطق واسعة في غضون أيام، وأثبتت أيضا أن الذخائر العنقودية القديمة تواصل تعطلها على نطاق كبير، وأنه حتى بعد إدخال آليات السلامة الحديثة فإنها لا تعمل دائما كما ينبغي".**

ومن الممكن وضع نهاية لعقود من المعاناة عاشها المدنيون من خلال إنفاذ الاتفاقية وعولمتها على وجه السرعة. وتضيف **بيرلي**: **"مهمتنا الآن هي المضي قدما من الرؤية السياسية إلى اتخاذ التدابير العملية"** ■

الإعلاميون.. شهودا على الحرب

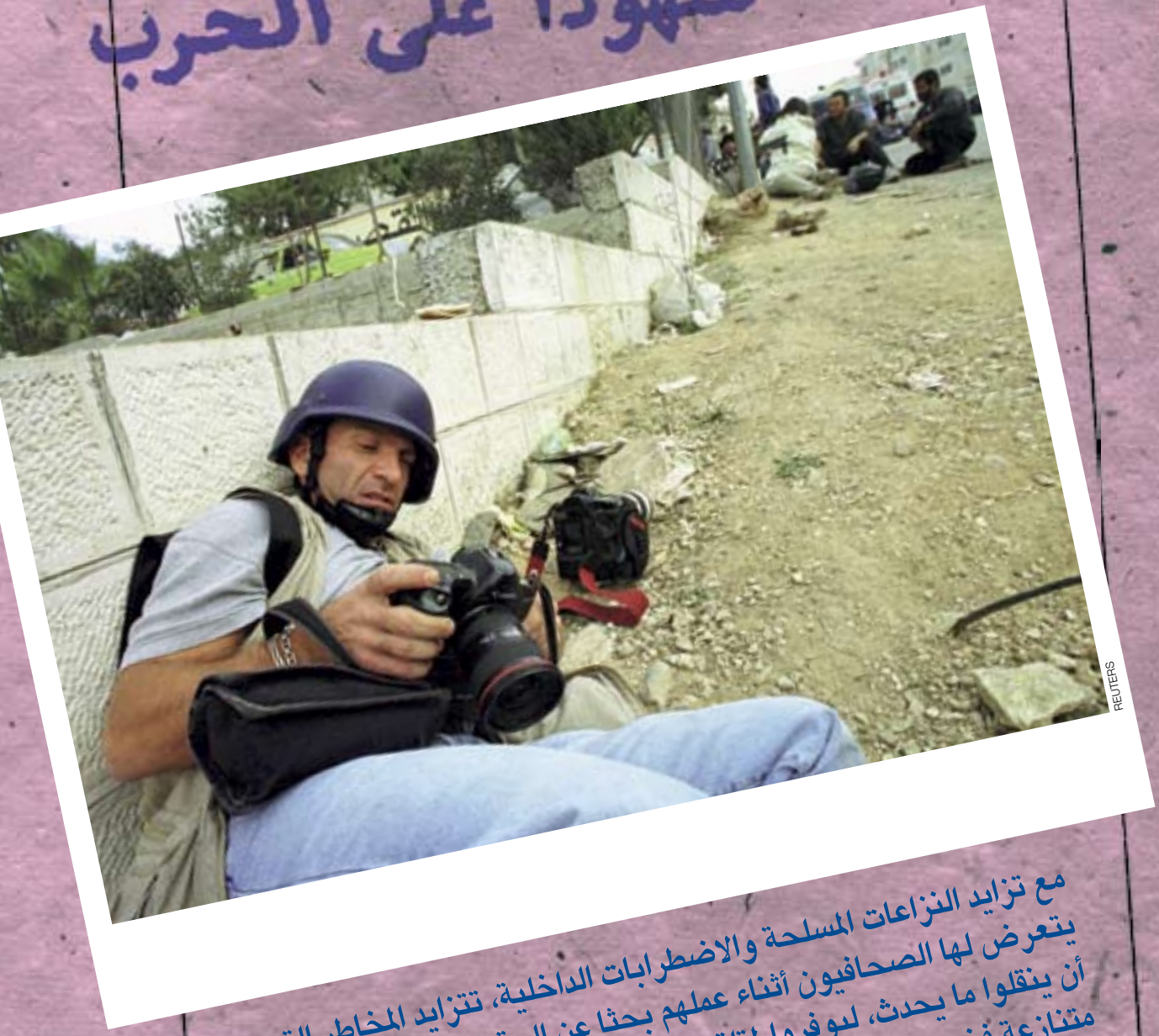
REUTERS

مع تزايد النزاعات المسلحة والاضطرابات الداخلية، تتزايد المخاطر التي يتعرض لها الصحافيون أثناء عملهم بحثا عن الحقيقة. يريد الصحافيون أن ينقلوا ما يحدث، ليوفروا لمتلقيهم حق المعرفة، في ما تعتبرهم أطراف متنازعة فضوليين، وغير مرغوب فيهم، وتسعى إلى عرقلة عملهم، أو منعهم، أو قتلهم في بعض الأحيان.

هنا شهادات لصحافيين تعرضوا للكثير من المخاطر من أجل أن نعرف.

ريم علي

ما الذي يجب على الصحافي عمله؟

أخلاقيات تغطية النزاعات المسلحة

يهبط الليل، وأنا جالسة في حجرتي التي يعود طرازها إلى سبعينيات القرن العشرين في الطابق التاسع من **فندق فلسطين**. كانت النافذة التي تطل على **نهر دجلة** مغلقة، والزجاج ملفوفا بشرائط الورق اتباعا لتعليمات أعطيت لنا في دورة عن السلامة، حضرتها منذ قرابة العام في **ويلز**. انتظرت في ذاك المساء، مثل جميع من في **بغداد**، سماع صوت القنابل. لم تكن الكهرباء قد انقطعت بعد، فأضأت نورا جانبيا منخفضا. كنت بعيدة كل البعد عن مقاعد الدراسة في **جامعة كولومبيا**، حيث جلست قبل سنوات أنصت إلى مناهج دراسية تتحدث عن الأخلاق الصحفية. وكنت بعيدة كل البعد،أيضا، عن أول وظيفة لي في **نيويورك**، عندما كنت أغطي من الأمم المتحدة الكثير مما حدث في العراق (أو للعراق).

كان تعلقي بزداد **ببغداد** التي عشت فيها قرابة العامين لم أغادرها فيهما إلا لتجديد إقامتي. أقمت فيها صداقات، وأردت البقاء أثناء الحرب، رغم أن اختيار المغادرة كان متاحا أمامي، لأني شعرت بأن هذا جزء طبيعي من المهنة التي اخترتها. لم أفكر في نفسي كبطلة، ولكني كنت أعلم أن غالبية صحافيين الإعلام الغربي سيرافقون القوات الأميركية، وشعرت أنه سيكون رائعا لو استطاعت شبكتنا أيضا تقديم أخبار من الجانب الآخر، جانب المواطنين العراقيين العاديين الذين حوصروا بين قائدهم المستبد وآفاق الغزو الأميركي.

REUTERS

ولما لاحت الحرب فوق رؤوسنا، كنت واعية بشدة بضرورة أن أكون «متوازنة ومنصفة» في تقاريري. قيل الكثير أثناء التجهيز للحرب، وكثيرا ما تعجبت من الدور الذي يلعبه الإعلام بالضبط هناك. لم يكن الإعلام في معظمه موضوعيا بالتأكيد – كما أظهرت بعد ذلك معظم التحليلات التي استنكرت ما فعلته جموع الصحافيين الذين كرروا، في عالم ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر المرعب، الرسائل التي دفعت بها الإدارة الأميركية والتي ثبت خطؤها تماما بعد ذلك: «**توجد أسلحة دمار شامل في العراق**»؛ «**صدام حسين وراء هجمات 11 أيلول/ سبتمبر**»، «**سنجعل العالم أكثر أمانا بجلب الديمقراطية إلى العراق**»،... إلخ.

كنت أيضا على دراية شديدة بالحاجة إلى القيام بعملي مع احترام المبدأ الأساسي للتغطية الصحفية الأخلاقية: مبدأ عدم التسبب في أي أذى، سواء للذين عرفتهم هناك، أو لأولئك الذين لم أقابلهم مطلقا، أو لأي شخص منخرط في هذا النزاع. ظللت أذكّر نفسي: وظيفتي هي نقل المعلومات فحسب، وليس الوقوف مع أية جهة. عندما أسترجع تلك الأيام، أتساءل: هل بالفعل قمت بذلك؟ ليس لي أن أحكم، ولكنني قمت بما في وسعي: كتبت تقارير عن قصص لأفراد، وحاولت تغطية المعاناة الإنسانية التي تكون حاضرة بقوة في النزاعات. غطيت «القصة الكبيرة» أو «الصورة الأكبر»، ولكني حرصت على ألا أغفل «القصص الصغيرة» أو «القصص الجانبية». من بين تلك القصص كانت قصة مستشفى للأمراض النفسية في ضواحي **بغداد**. كان المستشفى قد نهب، وكان مشهدا مؤسفا: أولئك المرضى الذين منعهم العجز من الفرار، وكيف كانوا في أشد الحاجة للرعاية والاهتمام والدواء.

كنت محظوظة جدا في ذلك الوقت لأن قائمة أصدقائي ومعارفي اشتملت على بعض أعضاء من فريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أثبتوا أنهم مصدر ثمين للمعرفة. وبوصفي صحافية، شعرت بالامتنان ليس لكرمهم في نقل حقائق موثوق فيها فحسب، بل لتقديمهم خلفية معلوماتية أيضا. كما أنهم، فضلا عن ذلك، منحوني وقتا للإجابة عن أسئلتي، ومساعدتي على فهم اللغة التي يلقيها علينا المتحدثون الرسميون أو المسؤولون أو حتى بعض الزملاء: ما الذي يُطلق عليه تسمية «جريمة حرب»؟ في أي موقف يمكننا، نحن الصحافيين، استخدام هذا المصطلح؟ متى يمكن للمرء استخدام مصطلحات مثل «الإبادة الجماعية» أو «جريمة ضد الإنسانية»؟ ساعدني فريق اللجنة الدولية على توضيح بعض مفاهيم القانون الدولي الإنساني التي أتذكرها من دراستي، وعما إذا كانت مطبقة أم لا: ماذا تقول **اتفاقيات جنيف** عن معاملة أسرى الحرب؟ وماذا يعني ذلك إذا التقطت وسائل الإعلام صورا لهم، واستعرضتها أمام الكاميرات، واستخدمتها لأغراض دعائية؟

ننتقل بسرعة لعام 2010: كنت محظوظة

لأني أنشأت **معهد الإعلام الأردني في عمّان**، وهو معهد يهدف إلى أن يقدم لدارسي الصحافة أفضل تدريب استطعت وضعه مع فريق متفانٍ من خبراء محليين ودوليين تكرموا بمساعدتي وتقديم النصح لي. وأضفت إلى التدريب، بطبيعة الحال، ما تعلمته من الميدان أثناء الحرب والفترة التي تلتها.

وكما تعلمت في أيام الدراسة الصحافية، فإن جزءا مهما جدا من التدريب الذي نقدمه الآن يتمثل في أن نطبع في عقول الطلاب الإحساس بالأخلاق. إننا نعيش في منطقة مضطربة لا تفتقر للأسف إلى النزاعات، ولا إلى الشباب الطموح الذي يريد تغطية هذه النزاعات.

لطالما أردت أن يكون للصحافيين مرجعية مماثلة يعودون إليها يوما ما. أهتم بالتأكيد على أنهم، إضافةً للمهارات الصحافية نفسها، يغادرون المعهد حاملين معهم قيما تنضج بداخلهم، وأنهم سوف يتذكرونها كل يوم من أيام حياتهم العملية. وآمل أن ما علّمناهم إياه عن تغطية حالات النزاع سوف يبقى في ذاكراتهم.

REUTERS

الأخلاق الحميدة لا تعني الفطرة السليمة والمشاركة واستيعاب القيم التي تجعلنا بشرًا فحسب، لكنها في أوقات الحرب تعني أيضا توافر حد أدنى من المعرفة العامة، والدراية بقواعد الحرب، وحد أدنى من فهم الثقافة المحلية واحترام المدنيين والمصابين واللاجئين.

ولكن الصحفيين ليسوا الموظفين المكلفين بتقديم المساعدات، ولا ينبغي لهم محاولة ذلك، وهم يغطون النزاعات. ولا يعني هذا أنه لا ينبغي لهم مد يد العون في ظل الحاجة الماسة، ولكن يمكنني القول بأنه من الصعب في مثل هذه الحالات تحديد الخط الفاصل بين مساعدة المحتاجين وكتابة التقارير عمن ساعدتهم.

أطلقت حرب العراق - أو على الأقل حسب خبرتي - هوجة من تقارير حسنة النية ركزت على أطفال أصيبوا بإصابات بالغة بقنابل أمريكية. وبدلا من عرض القصة والانتقال ●●●

الأميرة ريم علي

قبل أن تقترن بصاحب السمو الملكي الأمير علي بن الحسين عملت الأميرة ريم علي مع العديد من المؤسسات الصحافية العالمية ومن ضمنها شبكة «سي إن إن» (CNN) حيث بدأت عملها في الإنتاج عام 1998 ثم انتقلت لتعمل مراسلة صحافية في بغداد بين 2001 و2004.

وقبل انضمامها لمحطة «بي بي سي» كانت سمو الأميرة ريم قد عملت جاهدة على تطوير سيرتها المهنية من خلال العمل مع تلفزيون دبي وتلفزيون بلومبيرغ وراديو مونت كارلو ووكالة UPI.

تخرجت سموها من جامعة كولومبيا بشهادة الماجستير في الصحافة كما حصلت على شهادة عليا في العلوم السياسية من أحد معاهد باريس المتخصصة Institut d'Etudes Politiques ودرجة ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة السوربون. ومنذ عام 2005 شغلت سمو الأميرة ريم منصب عضو في مجلس مفوضي الهيئة الملكية الأردنية للأفلام.

حازت الأميرة ريم جائزة مرموقة من كلية الصحافة والإعلام في جامعة كولومبيا في شهر نيسان 2011. جوائز الخريجين تقدم سنويًا لأصحاب التميز في مهنة الصحافة والإعلام، أو لإنجاز صحافي متميز أو لمساهمة بارزة في المجال التعليمي الصحافي.

كما نالت الأميرة ريم، في تموز 2011، جائزة «أفضل صحافية دولية» في الدورة الثانية والثلاثين لجوائز جزيرة إسكيا الإيطالية للصحافة الدولية. وتقدم هذه الجائزة سنويًا لأصحاب الإنجازات المرموقة في مجال الصحافة. أسست الأميرة ريم «معهد الإعلام الأردني» في آب/أغسطس من العام 2010.

لما بعدها، أصبح النمط السائد هو تغطية ما حدث لذاك الصبي أو تلك الصبية اللذين جرى التركيز عليهما، فجذبا بالتالي انتباها أكبر أدى إلى إرسالهما إلى الولايات المتحدة للعلاج عن طريق عناصر الجيش الأمريكي الذين هم في حاجة إلى جذب القلوب والعقول. ورغم تقديرنا لهذا الصنيع، أصبح السباق يدور حول من هو الصحافي الذي سيتسبب في إرسال طفل عراقي للعلاج في الولايات المتحدة على حساب قصص معاناة كثيرة أخرى ظلت مجهولة.

والدقة بالنسبة للصحافي لها ما للأخلاق من أهمية: عليك مراجعة الحقائق مرة، ومرة ثانية وثالثة في ما يتعلق بعدد المصابين والضحايا؛ عليك أن تتأكد من عدم إغفال حقائق مهمة، ولكن ألا ترسل أيضا إنذارات غير ضرورية. في حالات النزاع، ربما تكون المعلومات مسألة حياة أو موت، ويجب أخذ ذلك بكل جدية. ولا يجوز على الإطلاق أن تعلن عن أسماء الضحايا أو المصابين قبل إخطار أسرهم، مهما كان السبق الذي تظن أنك حصلت عليه. من بين النتائج الإيجابية لعصر الإعلام الاجتماعي أنه دفع الصحافيين لأن يكونوا أكثر دقة، ومصداقية، وتحملا لمسؤوليتهم. ينبغي على الصحفيين أيضا، مهما كان توقهم لأن يُنظر إليهم في نهاية المطاف كأبطال، أن يتأكدوا من عدم الوقوف في طريق موظفي الإغاثة.

نحاول في المعهد أن نغرس القول المأثور في الصحافة ومفاده أن «**القصة ليست عني أنا الصحافي بل عما أغطيه**»، وأن ندربهم على احترام كرامة الأشخاص الذين يتحدثون معهم أو عنهم، قبل أي اعتبار آخر.

وأخيرًا وليس آخرًا، لا قصة أو صورة أو تقريرًا مصورًا يستحق المخاطرة بحياة الإنسان. وللأسف، عاينت اختراق هذه القاعدة في أكثر من مرة ■

الصحافيون ليسوا الموظفين المكلفين بتقديم المساعدات .. من الصعب تحديد الخط الفاصل بين مساعدة المحتاجين والكتابة عمن ساعدهم

صحافة تحت الاحتلال

د. غانم النجار*

REUTERS

في الثاني من آب/ أغسطس 1990غزا العراق جارته الجنوبية الكويت. وخلال أيام قلائل أعلن ضمها، وأطلق عليها اسم المحافظة التاسعة عشرة. استمر ذلك الوضع حتى السادس والعشرين من شباط/ فبراير 1991، حيث تم تحرير الكويت.

منذ الساعات الأولى للغزو كان واضحا أن الإعلام يمثل عنصرا محوريا لسلطات الاحتلال، صودرت كافة الصحف اليومية الكويتية، وهي صحف خاصة غير حكومية، وضمها إلى وزارة الإعلام العراقية في حينه. واستخدمت سلطات الاحتلال مبنى ومطبعة جريدة **القبس** لكي تصدر منها جريدة يومية باسم جريدة **النداء**، استمرت في الصدور حتى كانون الأول/ ديسمبر1990

وعلى المستوى الشعبي، صدر العديد من النشرات بأشكال ومستويات مختلفة، كان الهدف المشترك بينها هو التصدي للاحتلال وحث الشعب على الصمود. وتفاوتت تلك النشرات شكلا ومضمونا واستمرارية؛ فمنها ما كان مجرد كتابة بخط اليد، لاتحتوي إلا على احتجاج على العدوان، وأغلبها لم يصدر إلا مرة أو أكثر، ومنها ما كان محترفا صحافيا، وتضمن الأخبار والافتتاحية والمقالات وغيرها من الأبواب. وعانى القائمون على تلك الإصدارات معاناة شديدة، بل إن العديد منهم تعرض للاحتجاز والقتل بسبب الاشتباه في ارتباطه بهذا الإصدار أو ذاك.

بعد مضي يومين على الاحتلال، وإدراكا منا لأهمية وجود وسيلة إعلامية تهدف إلى تقوية ودعم صمود المواطنين، فقد أصدرنا نشرة أو جريدة باسم «**الصمود الشعبي**». كنا مجموعة من العاملين في المجال الإعلامي والفكري والنشاط العام، وارتأينا أن هذه أفضل وسيلة لرفع معنويات الناس من خلال إشعارهم بأن هناك من يرفض الاحتلال.

كانت المشكلة الأولى هي كيفية وحجم الإصدار، إذ تترتب على ذلك كيفية التوزيع بكل ما يحتويه من مخاطر. واتخذنا مجموعة من القرارات، أولها هو اختيار اسم ينعكس بشكل واضح على الهدف من الإصدار، وهو رفع الروح المعنوية للناس تحت الاحتلال. وهكذا جاء اسم الجريدة «**الصمود الشعبي**»، لتعبر عن رغبتنا في هذا الاتجاه. والقرار الثاني هو أن تكون النشرة من صفحتين، لاعتبارات أمنية ولوجستية. فقد تم اعتقال عدد من المساهمين معنا في التوزيع، ولايزال بعضهم في عداد المفقودين. حصلنا في بداية الأمر على جهاز كمبيوتر لتصميم العدد، ثم أتينا بماكينة تصوير لتصوير نسخ من العدد، وبعد ازدياد المخاطر قررنا إيجاد آلات تصوير كل في منطقته. وبدلا من نقل أعداد كبيرة من كل عدد عبر نقاط التفتيش، مع كل مايعنيه ذلك من مخاطر، صرنا نصورعددا محدودا في مركز الإنتاج، ونوصلها إلى مراكز النسخ. ونجح هذا الأسلوب إلى حد بعيد في تخفيض درجة المخاطرة. واحتوت الجريدة في صفحتها الأولى على افتتاحية تناقش تطورات الأحداث وتحليلا سياسيا وباقة أخبار.

وكانت الصفحة الثانية أكثر تنوعا: كاريكاتير وأشعار ورسائل القراء التي كان أغلبها حقيقيا لتعطي انطباعا بصمود الناس. وربما كان أبرز ما قامت به الجريدة هو دعوتها في الثاني من أيلول/ سبتمبر، أي بعد انقضاء شهر على الاحتلال، إلى إضراب عام في الجمعيات التعاونية ومحطات الوقود، بوصفهما أبرز مرفقين عامين مستمرين في العمل. وكان التجاوب مع الدعوة للإضراب جيدا، إلا أن الأهم من الدعوة للإضراب كان الدعوة للخروج إلى أسطح المنازل في منتصف ليلة الثاني من أيلول/ سبتمبر والتكبير بأعلى صوت. وكان الهدف من ذلك هو إظهار الحالة التضامنية بين الناس، وإشعارهم بالقدرة على عمل شيء ضد الاحتلال، حتى لو كان رمزيا. كانت الاستجابة الشعبية مذهلة إلى حد لم نتوقعه، إلا أن ذلك لم يكن نتاجا لمطالبة جريدة **الصمود الشعبي** فقط، ولكنه يعود إلى قيامنا كمجموعة بالاتصال بوسائل الإعلام العالمية مثل وكالة **رويترز**، على سبيل المثال، وإبلاغها بأن **حركة المقاومة الشعبية الكويتية**، وهوالاسم الذي أطلقناه على ماتمثله فكرة الصمود الشعبي، وجهت دعوة للإضراب العام والتكبير. ولأن التلفزيونات الخليجية وغيرها كانت قد كثفت وزادت من قوة إرسالها للكويت المحتلة فقد نقلت كافة المحطات. وهكذا تم تنفيذ أكبر فعل تضامني شعبي صمودي جماعي من نوعه في تاريخ احتلال الكويت.

ظلت **الصمود الشعبي** مستمرة في الصدور حتى بعد التحرير لعدة أعداد، ثم توقفت، إلا أن بإمكاننا القول بأنها ربما كانت أكثر مطبوعات المقاومة استمرارا في الصدور، وحفاظا على الكفاءة الصحفية، كما أنها أسهمت بشكل واضح في دعم وتعزيز صمود الشعب المحاصر والمحتل، والذي كان احتلاله ليس إلا انتهاكا صارخا لاتفاقية جنيف الرابعة ومجمل القانون الدولي الانساني ■

* أستاذ في جامعة الكويت، مستشار إعلامي وخبير في القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان

باتريك باز: كثيرون يريدوننا «عميانًا»

يحلم بأن تكون لديه كاميرا في عينيه

ماري كلير فغالي*

من آلاف الصور التي التقطها تعجز ذاكرة باز عن اختيار صورة تركت في نفسه الأثر الأكبر

لم يعش **باتريك باز** الحرب فحسب، فقد عجنته النزاعات وخبزته إلى أن صارت جزءًا منه، تطبعه في كل خلية من خلاياه، وفي كل ذكرى من ذكرياته. لم يعش **باتريك باز** الحرب، بل عاشته هي. غازلته في أزقة بيروت، أخافته، سحرته، وقبضت على أفكاره، حتى أجبرته على تخليدها بعدسته.

لم يكن **باز** إلا مراهقًا عندما حمل الكاميرا للمرة الأولى، هو من ولد على خطوط التماس في **بيروت** المشرذمة في منتصف سبعينيات القرن الماضي. رأى في ذلك إشارة إلى مستقبله. أراد من كل قلبه أن يأسر اللحظة ليجعلها أبدية. فالشاب يعبث مع الزمن، مع الأبد. وقد نسج معه عبر سنين الخبرة التي حملته في ما بعد إلى رئاسة قسم التصوير في

بغداد 2003: جندي عراقي يعتمر خوذة مثقوبة.

وكالة الصحافة الفرنسية (أ.ف.ب) عام 1996 علاقة حب وكره، جسدها في كل لقطة، في كل لحظة.

وإلى الحروب اللبنانية في 1975 و1988 مرورًا بالاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، عاش **باز** الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1989، حاملًا عدسته إلى **غزة** و**الضفة الغربية** في الأراضي الفلسطينية المحتلة ليصور معركة الحجارة، ثم مآسي النزاعات في حرب الخليج الأولى عام 1990 ومجاعة الصومال وآلام **سراييفو** عام 1993. وعام 2003، تاريخ اجتياح العراق، عُيّن **باز** مديرًا لمكتب **وكالة الصحافة الفرنسية** في **بغداد**، لينتقل بعدها إلى **الفلوجة**. ومن أرض الرافدين، خلّد شذرات من تاريخ جمعها في كتابه: Don't take my picture Iraqis don't cry "لا تأخذوا صورتي.. أيها العراقيون لا تبكوا".

من مئات آلاف الصور التي التقطها، تعجز ذاكرة **باز** عن اختيار الصورة التي تركت في نفسه الأثر الأكبر، موضحًا أنه بمرور الزمن لم تبق لديه إلا الذكريات واللحظات. فكل صورة لديه تطيح بسابقاتها، لكن التجارب التي عاشها تبقى محفورة في قلبه.

وهل خطر له في يوم وضع كاميرته جانبًا؟ يجيب باز: "**لم يخطر لي ذلك ولو للحظة، فحلمي هو أن يكون لدي كاميرا في عيني**".

فالتصوير الصحافي بالنسبة إليه ليس مجرد هواية أو وظيفة عادية، كما خالها كثيرون قبل أن ينخرط الشاب في العمل لحساب واحدة من أكبر وكالات الأنباء في العالم، بل هي شغفه وحبه الكبير.

ويشدد **باز** على أنه لا يسعى عند التقاطه صورة إلى البعث برسالة لأي كان، بل يصبو إلى تخليد الثانية تلك ناقلًا إلى العالم ما يراه. وعلى الرغم من أن فرحًا عارمًا يغمره عند رؤية صوره منشورة في الصحف، لا يؤمن الشاب بأن مهنته محمية أكثر من مهن الصحافيين أو مراسلي الحرب العاديين.

"**فنحن**"، كما يقول، "**عين العالم، وكثيرون يريدوننا عميانًا**" ■

★ مسؤولة الإعلام سابقًا
في بعثة اللجنة الدولية في العراق

1 –

تماما كالتمايز الطبقي بين الفقراء والأغنياء؛ هو حال «المراسل الحربي» في البلدان «النامية» عن نظرائه من مراسلي الدول «المتقدمة».

وخير دليل على ذلك هو المعدات التي رأيناها بصحبة الصحافي الأجنبي الذي جاء مع القوات الأمريكية لتغطية وقائع الحرب على العراق؛ أو الذي سبقها توقعا لما سيحدث؛ فقد كانت تشمل كل ما يحتاجه من أبسط المعدات إلى أكثرها تعقيدا وأهمها تحفيزا على الإنجاز؛ من جهاز الحاسوب إلى وثيقة «التأمين على الحياة» مثلا؛ ولا حاجة لأن أذكر ما كنا نفتقر إليه في التغطية من أبسط شروط السلامة مثل «الصديرية الواقية» أو الخوذة؛ إلى احتمال دفع كل مدخراتك للمسلحين في حالة اختطافك أو شراء سلامتك حين التهديد بالقتل.

2–

قبل الحرب العراقية الإيرانية؛ لم تعرف الصحافة العراقية ماهو «المراسل الحربي» ومهماته في تغطية الحدث؛ وذلك لضآلة التجربة العراقية والعربية في هذا المجال بشكل عام؛ وحتى الصحافيون العراقيون الذين قدر لهم أن يرافقوا القطاعات العسكرية المشاركة في حرب تشرين 1973؛ لم يكن لهم من دور مميز سوى نقل رسائل المقاتلين إلى ذويهم أو نشر ما يقوله الناطق الرسمي عن «موجز عمليات هذا اليوم».

ولذلك؛ حين خاض العراق حربه الطويلة مع إيران لم تكن ثمة «تقاليد صحافية» أو سوابق لمراسلين حربيين يمكن الإفادة منها ومنهم في متابعة أضخم حدث قتالي منذ الحرب العالمية الثانية؛ ولم يكن هناك مراسل حربي بالشكل الحرفي لهذا المصطلح؛ وإنما كان هناك مندوبو صحف أرسلوا إلى «الجبهة» في مهمات تعبوية محددة. وكان ضباط الوحدات يتعاملون معهم بنوع من الريبة، ما يدفعهم إلى محاولة احتواء الضباط عبر كتابات تصوّر بطولاتهم ومعنويات جنودهم العالية.

أيامها كانت المؤسسة العسكرية تنظّم زيارات ميدانية للصحافيين والإعلاميين وبعض الأدباء؛ تشبه ما تنظمه الشركات السياحية من زيارات للمناطق الأثرية؛ فهي تهيّئ الدليل العسكري الذي يشرح للزائرين أهمية الموقع وتواريخ الأحداث التي جرت على أرضه؛ وبالتأكيد سيصفح عن ذكر المآسي الإنسانية التي شهدتها النفوس هنا.

3 –

قادني الأدب إلى الصحافة؛ وكانت الحرب في ذهني حاضرة عبر كتابات الأدباء الروس أو الألمان أو الشعراء الإنجليز؛ أو أدب المقاومة الفرنسي؛ وما زالت الصورة البشعة التي يقشعر لها البدن؛ والتي رسمها **ريمارك** في روايته الإنسانية الشهيرة «**للحب وقت وللموت وقت**» ماثلة أمامي إلى الآن: حين تذوب الثلوج وتظهر

العراق: تجربة أديب في عالم «المراسل الحربي»

وجوه القتلى المدفونين تحتها؛ يسيل الماء من العينين وكأنّ الجثث تبكي !!

عشرات الصور الشبيهة بهذه رأيتها من خلال تغطيتي لأحداث القتال في جبهة حربية تمتد إلى أكثرمن ألف كيلو متر مربع هي الحدود القتالية بين العراق وإيران؛ فحين تهب الرياح تظهر الجثث المنسية من حروب السنة الماضية أو التي قبلها (خصوصا تلك التي حدثت عبر اشتباك بالسلاح الأبيض)، فنجد القاتل والقتيل في لحظة عناق حميم؛ وكأنّ الأخوة الإنسانية في لحظات النزع تريد أن تأخذ صورة تذكارية أخيرة.

وما كان يحزنني - كشاعر وصحافي- أن جميع كتاباتنا لم تستطع وقف عجلة الدم عن الدوران؛ وأن ناعور الدماء كان يدور ويدور وتدفعه رياح القتل إلى ما لانهاية

وكل ما كنا نحاول أن ننقله من بشاعة وعنف

REUTERS

جواد الحطاب*

وتجرد من الإنسانية؛ لم يكن يصمد أمام نشيد حماسي أو أغنية تعبوية تجند لها المؤسسة ماكينتها الإعلامية.

من الموجع أننا نكتب وفي ذهننا الأمهات فقط؛ ومن الموجع أكثر أن أغلبهن لا يعرفن القراءة أو الكتابة؛ وليس لهن من مصدر إخباري يثقن به سوى قطار الجرحى الذي كانت تسيّره الدولة إلى العاصمة حاملا فلذات أكبادهن.. شهودا على ما دار من همجية ورعب.

بمحض مصادفة وجدت نفسي «مراسلا حربيا» في حرب اعتقد الجميع أنها ستكون سريعة؛ بل إن أكثر المتشائمين قال إننا سنقاوم حتى لو استمرت الحرب عامين لكنها امتدت

تميّز الأدباء الصحافيون في تغطية وقائع الحرب عن زملائهم الصحافيين فقط

* صحافي عراقي
مدير مكتب قناة العربية في بغداد

إلى ثماني سنوات؛ قطعت التاريخ الإنساني في المنطقة وأشعلت الاقتصاد العالمي وغيرت الجغرافيا وهدمت البنيان الاجتماعي لعموم الشعب العراقي والشعب الإيراني بالتأكيد؛ لأن ليس هناك من طرف رابح في أية حرب؛ حتى لو كانت الحرب معركة أطفال بالعصي أو الحجارة؟

- 4

نجح «الأدباء الصحافيون» في رسم خارطة التغطيات الصحافية أكثر من زملائهم «الصحافيين» فقط؛ لأنهم كانوا يستعينون بالقصة وبالسرد الروائي حين يريدون التحايل على الرقابة الأمنية التي تحكم قبضتها على تغطية وقائع الحرب.

سأزعم أن أول رسالة صحافية من الـ«جبهة» كانت لي؛ وقد نشرتها **جريدة الجمهورية** التي رافقنا مصوروها في الدخول إلى منطقة **نفط خانه** على الحدود بين العراق وإيران من جهة **ديالى**؛ لأنتقل بعدها إلى الكتابة في مجلة «**فنون**» الأسبوعية، وأنشر فيها رسائلي الحربية طوال ما يقرب من سنتين (1980–1982) لتختار منها هيئة التحرير– فيما بعد – بحدود عشرين رسالة وتنشرها في كتاب وضعت له عنوان «**إنه الوطن.. إنه القلب**».

هذه الرسائل الحربية تطورت فيما بعد إلى سلسلة مقالات أخذت بنشرها طوال السنوات من 1985 إلى 1988: «**يوميات فندق ابن الهيثم**» وشكلت كتابا صدر في **بغداد**؛ قال عنه النقاد إنه أسس للأدب التسجيلي في العراق.

صعوبة التغطية التي عشتها؛ وعاشها كذلك المراسلون الحربيون الذين كانوا مجندين أساسا؛ هي افتقارنا إلى وثائق معتمدة يمكن أن تحميك في حالة التنقل بين القطعات؛ لذلك كان علينا أن نعتمد على اسمنا أو صورنا التي تنشرها الصحف أو المجلات؛ وكانت الأمور تزداد صعوبة في المعارك الكبرى التي تتداخل فيها قطعات الطرفين؛ فتصدر غرف العمليات تحذيرا من الجواسيس الذين يندسون خلف الخطوط؛ ويعرفون اللهجة المحلية وعناوين المدن والطرق الرئيسية؛ وهكذا تعرضت للاعتقال والشك في أكثر من قاطع؛ لحين التحقق من شخصيتي ومن أني فلان الفلاني.

- 5

من تجربتي الشخصية أن الكثير من الحقائق لم تكتب لحد الآن؛ ولم يكن لأي مراسل حربي أو صحافي حرية ذكرها؛ ولو نشرت لشكّلت عالما غرائبيا دونه عالم **ماركيز** أو كوابيس **إدغار آلان بو**. ولئن كان أكثر من 350 صحفيا قد دفعوا حياتهم ثمنا لتغطيتها، لكن قدر الكلمة أن تظل تحلم بعالم آمن يمكن أن تهتدي إليه البشرية ذات يوم ■

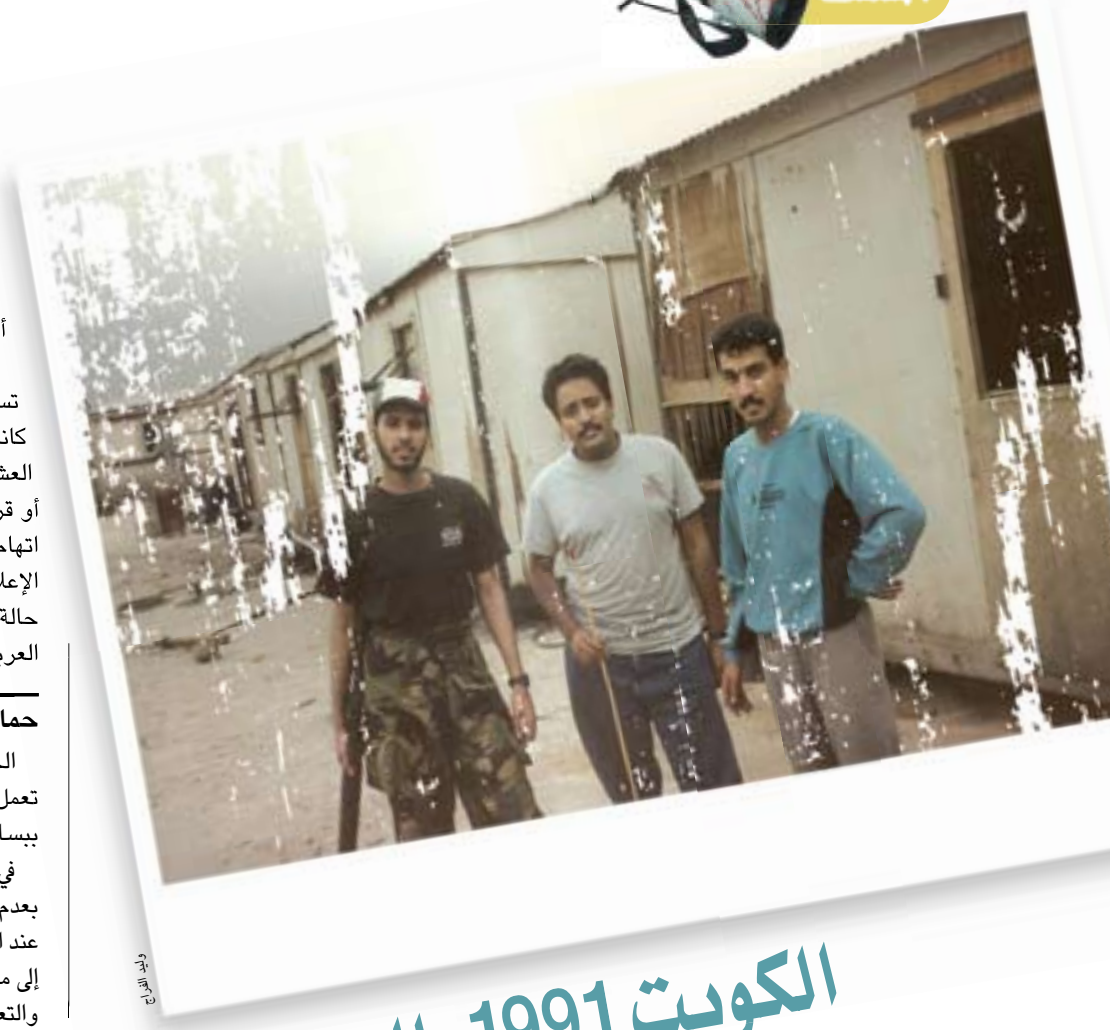

وليد الفراج

الكويت 1991: الحرب بالإعلام

عندما عبرت قوافل الجيش العراقي آخر علامة حدودية كويتية متجهة نحو وسط العاصمة الكويتية في فجر 2 آب/ أغسطس 1990 لم يدر بخلدي أنني قريب من حدث بهذا الحجم.

كنت حينها صحافيا رياضيا في صحيفة سعودية شبه رسمية، وكان رئيس التحرير قد أغلق غرفة الأخبار خشية أن يطلع أحد العاملين في الصحيفة على أسرار يعتبرها "عليا" تتمثل في أن الكويت قد احتلها العراق قبل ساعات.

وحتى عندما تحول الاحتلال إلى واقع، لم أتوقع أنني سأكون حاضرا في مشهدها الأساسي مراسلا عسكريا وسياسيا لصحيفة عربية عريقة تصدر في **لندن**.

في حرب الخليج 1990 شهدت الساحة العربية لأول مرة حربا إعلامية بين مايقوله العراق من خطاب وإعلام تقليدي، من جانب، والقنوات العربية الخاصة الناشئة، في ذلك الوقت، مثل mbc، والحكومية مثل الفضائية المصرية، إضافة إلى إطلالة على إعلام العالم عبر cnn الأمريكية، من جانب آخر. كانت حربا مختلفة لم يحتكر أحد الساحة الإعلامية فيها، لم يحتكر أحد الحقيقة.

أخلاقيات؟

الإعلام أصبح أحد أخطر أدوات منح الحروب أسبابا أخلاقية والحفاظ على الزخم الشعبي لها عبر إبراز سلبيات الطرف الآخر وصنع "الصنم" منه لتبرير الاستعمال المفرط للقوة. ولذلك فإن التغطية المحايدة في الحروب أصبحت صعبة في ظل استيعاب الحكومات والنظم غير الديموقراطية لخطورة دور الإعلام. ولهذا فإن مساحة حرية المراسل في أرض أي "نظام" ترتبط بمقدار موافقته على أن يكون مرنا في حجب بعض المعلومات أو تمرير بعض الأخبار التي تشك– كمراسل– في صدقيتها.

كانت هناك محاولات للالتزام بأقرب، وليس بكل، أخلاقيات العمل الإعلامي، فعندما كنت أتلقى معلومة من الجهة العسكرية التي أرافقها، كنت حريصا على التأكيد في سياق الخبر على أنها معلومة من جهة واحدة، دون وجود آراء مستقلة أو محايدة.

في حرب الكويت 1990 لم تكن الأجواء تسمح بتغطية مستقلة لأن أغلب دول العالم كانت تعتبر **صدام حسين** هو **هتلر** القرن العشرين. ولهذا فإن التعامل معه أو مع جيشه أو قرارات حكومته بموضوعية قد يتحول إلى اتهام بالتعاطف مع المحتل، ولن تكون أمام الإعلامي فرصة لتوضيح وجهة نظره بسبب حالة التوتر العالية والتخندق التي شابت الإعلام العربي حينها.

حماية

الحماية مسألة ترفية في تغطية الحروب، لأنك تعمل إطفائيا فكيف تخشى النار أو الموت؟ أنت ببساطة تعمل في وظيفة شبه مميتة.

في **لندن** أو **نيويورك** أو **باريس**، تُنصح دوما بعدم حمل مبالغ نقدية أكثر مما تحتاج وخاصة عند التنقل في المساء، لكنك في الحروب تحتاج إلى مال نقدي لحلّ كل المعوقات: تأجير السيارة والتعاون من قبل الأدِلَّاء، كما أنك تحتاج إلى منح المترجمين مبالغ كبيرة ليعملوا معك. الطعام والشراب يقدمان بأسعار تتجاوز عشرة أضعافها في كثير من الأحيان، ومجانا في أحيان أقل، لأنك لاتجد محلات بقالة في الصحراء، بل تشتري من "سوق الحرب السوداء".

ليلتي الأولى في الكويت كانت يوم 27 شباط/ فبراير 1991، كنا قد تحركنا فجر الليلة الماضية من **الخفجي**، وهي آخر مدينة حدودية سعودية نحو الكويت، ولم يكن أمامنا سوى أن نسير في الطريق الرئيسي برغم كل القصف.

الصورة

ساهمت الصورة الفوتوغرافية في تراجع درجة المبالغات التي كانت موجودة في أخبار الحرب العالمية الأولى، وعزز التصوير السينمائي عملية وصول الحقيقة إلى الناس، وساعد على تراجع حجم الجرائم في الحروب خشية توثيق مرئي ومسموع يسمح بشحن الرأي العام.

وكانت حرب الكويت 1990 حربا إعلامية في الجانب الأكبر منها. وأعتقد أن الوسائل الإعلامية قدمت 30٪ فقط من الحقيقة فيها، وأخفت 70٪ من أضرارها وأحداثها لأسباب متعددة يخص كل طرف فيها العراق ■

وليد الفراج*

*صحافي سعودي

مازن أمان*

الحرب هي شيء مختلف عن أفلام هوليوود

أفغانستان: الكاميرا سلاح

في الميدان، لا يحمل الصحافي إلا رغبة في الوصول إلى قصة خبرية موضوعية، ليشاهدها مشاهد ما، ربما كان يجلس على أريكة مسترخيا في مكان ما من العالم. وفي سبيل تلك القصة، قد تكون لحظة هي الخط الفاصل بين الحياة والموت.

كانون الثاني/ يناير من العام 1991، «**عاصفة الصحراء**»، العرب يلتفون حول شاشات التليفزيون المنزلية يشاهدون نقلا مباشرا لحرب حقيقية تدور على بعد كيلومترات من منازلهم.

شكلت عملية تحرير الكويت نقلة في تاريخ المنطقة، ليس على صعيد الموازين العسكرية والسياسية في الشرقين الأوسط والأدنى، بل كانت القفزة الإعلامية من أهم منتجات حرب الكويت، فلأول مرة يشاهد المواطن العربي نقلا مباشرا لحرب حقيقية، وليست من صناعة **هوليوود**، أو وثائقيات - أفلام تسجيلية كما اعتاد الإعلام الحكومي العربي تسميتها - عن حروب خاضتها بعض الدول العربية ذات يوم.

يتذكر من عاصر تلك الفترة مشاهد المراسلين الإخباريين يرتدون سترات واقية من الرصاص وينقلون تقاريرهم الإخبارية من ميدان المعركة وأحيانا من فوق الدبابة !!

يحاول الصحافي، خاصة المراسل الميداني، أن يحافظ على صورته وسمعته كطرف محايد وموضوعي يكتفي بنقل الخبر والمعلومة من دون إبداء رأي، أو ترجيح كفة طرف على آخر، ولكنه قد يواجه عقبات خارجة عن إرادته تمنعه دون تحقيق ذلك.

في تشرين الأول/ أكتوبر من العام 2004 اشتعلت الحرب فجأة في أقصى غرب أفغانستان، كنت آنذاك مراسلا لقناة فضائية إخبارية عربية في أفغانستان.

مناوشات معتادة بين **أمان الله خان** القائد العسكري البشتوني في مديرية **شيندند** و**إسماعيل خان** القائد الطاجيكي حاكم ولاية **هرات**، اشتعلت حدتها وتطورت في ليلة وضحاها لتصبح حربا، وانقطعت الطرق، وسقط قتلى وجرحى من الجانبين.

أهمية اختيار فريق التغطية الميدانية

تحركت مع مصور طاجيكي، وسائق بشتوني إلى **شيندند**، وأمضينا نحو يوم كامل في طريق بري غير معبد، إلى أن بدأت مشاهد الحرب تغادرنا مسرعة خلال مضيّنا بالسيارة رباعية الدفع: أجزاء من مركبات عسكرية، سيارات إسعاف بدائية، جنود وميليشيات بأسلحة روسية في قيلولة على قارعة الطريق.

أوقفتنا نقاط تفتيش وأمن، وتركنا أمر التفاهم معها للسائق البشتوني، فكان يخبرهم بأننا ذاهبون للقاء قائدهم **أمان الله خان**. وسبقتنا الأخبار، فوجدنا **أمان الله خان** في استقبال فريق القناة التي شقت السمع والبصر، ووصلت إليه في صحراء تقع قرب الحدود الإيرانية الباكستانية.

كانت فرحة **أمان الله خان** بالكاميرات مزعجة بعد فترة، فقد أصر على أن يساعدنا لأقصى درجة ممكنة، فاصطحبنا لتصوير الجرحى من المنتمين لقواته، وصورنا آليات عسكرية تتأهب، وجنودا، وكل ما يسيل له لعاب المراسل في الميدان، وأجرينا معه لقاء يشرح فيه أسباب المعركة من وجهة نظره والوضع الميداني، ثم أتت المفاجأة، إذ أصر القائد العسكري على أن يصطحبنا لتصوير أسراه.

طبقا لاتفاقيات **جنيف**، أعلم جيدا أنه يحظر على وسائل الإعلام تصوير الأسرى، لأن في ●●●

مازن أمان

* مراسل صحافي مصري مقيم في دبي حاليا

هذا انتهاكا صارخا لحقوقهم المحفوظة بموجب القوانين والمواثيق الدولية، ولكن ترى كيف أقنع قائد ميلشيا يعتبرني ضيفا فوق العادة، ومن سبل إكرام الضيف عرض الأسرى لأصورهم؟!

اتخذت قراري بمجاراة **أمان الله خان** وتصوير الأسرى على أن أمتنع عن نشر صورهم، فاصطحبني لمزرعة ماشية صغيرة كان يحتجز فيها أسراه.

الحيادية والموضوعية بين الواقع والنظرية

انتهيت. والآن حان وقت التوجه شمالا لأكمل النصف الثاني من قصتي الخبرية بلقاء **إسماعيل خان**، العدو اللدود **لأمان الله خان** والطرف الثاني في هذه الحرب المستعرة.

هنا تلقيت تحذيرا من **أمان الله خان**، قال لي: «**الوضع خطر وليس هناك مزاح، أنت تجاوزت الخط الأول للجبهة بثلاثة كيلومترات بالفعل، لقد كسبنا هذه الكيلومترات هذا الصباح فقط، وإطلاق النار توقف لساعتين، تنتهيان بعد قليل، ليجمع كل فصيل جرحاه**».

شكرت **أمان الله خان** على المعلومات والاهتمام بسلامتي، وحاولت أن أشرح له أن عملي يحتم علي العبور **لإسماعيل خان** للحصول على قصة خبرية موضوعية من الطرفين وغير متحيزة. لم يبد عليه أنه فهم ما قلت، وأشاح بيده، وتمتم بما معناه «**أنت حر**»، ولكنه حذر السائق البشتوني من مغبة «**هذه الخطوة الخرقاء والتي مآلها الموت لا محالة**».

بمجرد أن عبرت سيارتنا جسرا صغيرا فوق قناة مائية جافة، فُتحت أبواب الجحيم. اعتقد الكشافون العاملون على جبهة **إسماعيل خان** أن سيارتنا طليعة هجوم بري، فقصفونا بالهاون. قوات **أمان الله خان** اعتبرت قذائف الهاون خرقا لساعات الهدنة، فزأرت الدبابات، واهتزت الأرض تحتنا فعليا وليس مجازا.

وسائل التأمين والحماية

كنت أرتدي الدرع الواقية من الرصاص، ما أثار ضحكات وسخرية **أمان الله خان** وقادته، فأحكمت رباط الخوذة على رأسي، وانتزعت الكاميرا من المصور الذي كان مرتبكا، وغادرت السيارة وطلبت من السائق العودة خلف خط النار فورا. لن أدعي بطولة، فقد واجهت أسوأ كوابيسي، واكتشفت أن تخبط الركب واصطكاك الأسنان ليسا من التعبيرات الأدبية لوصف بني آدم في حالات الرعب.

التقطت صورا قريبة جدا للمعركة، وزحفت حتى عدت إلى نقطة آمنة. ولا أدري كنه الماء في عيني: أهو دموع تغسل الأتربة بسبب الزحف على أرض كانت زراعية قبل أن يتطاير ثراها بسبب الجفاف، أم قطرات عرق بسبب ثقل الخوذة والدرع المضاد للرصاص وانتصاف الشمس في كبد السماء، أم أنها دموع رعب وخوف أو فرحة باقتراب النجاة من موت محقق؟

وصلت إلى بر الأمان، وأنا ألعن الصحافة وتغطية الحروب والموضوعية وعنادي وطموحي الجامح وعدم تطبيقي للقاعدة الأولى الذهبية في الصحافة: «**لا توجد قصة خبرية أهم من حياتك**».

تحدثت مع قسم المراسلين عبر هاتف الأقمار الصناعية، فأوصلوني بنشرة الأخبار على الهواء لأخبر المشاهدين بالوضع الميداني وأصوات الانفجارات تقطع صوتي وصوت مذيع النشرة الذي تمنى لي السلامة.

لا يوجد خبر يساوي حياة الصحافي

عدت إلى رئيس قسم المراسلين على الهاتف، وأخبرته بالوضع، فأبدى استياء، لأن القصة ستكون من طرف واحد، وأخبرته بأنني كدت أفقد حياتي للوصول إلى الطرف الثاني، وهنا قال الجملة الشهيرة وكأنها واجب، «**لا توجد قصة أهم من حياتك ومن معك**»، ولكنه قالها مثلما يتلو الضابط على المتهم حقوقه في أفلام **هوليوود**.

مازن أمان

بمجرد أن عبرت سيارتنا جسرًا صغيرًا .. فتح الجحيم أبوابه علينا

لو علم موظف اللجنة الدولية أنني صورت أسرى حرب لما استطعت أن أقف أمامه من الخجل

أصبت بحيرة وصمت، ثم أدركت ما يمكن أن يسيل له لعاب رئيس قسم المراسلين، أخبرته بأنني حصلت على مادة فيلمية خاصة بالقناة، ولا توجد أي كاميرات لقنوات أخرى، وألحت أيضا إلى موضوع الأسرى، وهنا أخبرني بأنه لا بأس من العودة إلى **كابل** على أن أذكر في نص تقريري عن الخبر أننا حاولنا الوصول إلى **إسماعيل خان**، ولم نفلح.

استكمال القصة الخبرية بأطراف فاعلة

قطعنا مئات الأمتار على طريق العودة فقط، لنقف بسبب وصول قوات التحالف الدولي إلى القاعدة الجوية في مطار **شيندند**. سارعت إلى سؤالهم عن عدم تدخلهم منذ 3 أيام لوقف الحرب، فأجابوا بأنهم وصلوا لتأمين القاعدة الجوية والمطار، وليس لفض النزاعات القبلية بين الأفغان.

خرجت من لقاء قائد المطار لأجد طابورا طويلا من سيارات اللجنة الدولية: «**آه هذا صيد كبير، هناك حرب وجرحى وأسرى إذن**»، طلبت من المصور أن يدير الكاميرا ويوصل الميكروفون، وتوجهت إلى الموظف الأجنبي في السيارة الأولى للقافلة، والكاميرا على كتف المصور، والميكروفون بيدي لأفاجئه بتعريف نفسي، وأنني أصور، ووجهت له سؤالا فامتنع عن الإجابة، وبدا عليه الاندهاش من وصول طاقم قناة إخبارية إلى هذه البقعة النائية.

هنا طلبت من المصور وقف التصوير، وضايقني ألا تكتمل قصتي بمقابلة قصيرة مع مسؤول في **الصليب الأحمر**، فهذا اللقاء كفيل بإضفاء مصداقية وموضوعية على القصة الخبرية، بسبب سمعة اللجنة الدولية في مناطق النزاعات المسلحة. قلت للمسؤول إن امتناعه عن الإجابة تم تسجيله كما أخبرته مسبقا، والامتناع عن الإجابة قد يستخدم في تقريري الإخباري، وصعدت إلى السيارة رباعية الدفع طالبا من السائق التوجه مباشرة إلى **كابل**.

لحق بي موظف محلي في **الصليب الأحمر** وطلب مني التريث لدقائق، فأخبرته بأنني يجب أن أنصرف فورا، ولكن المسؤول الأجنبي لحق بنا، وطلب أن يحدثني لدقائق على انفراد، ومن دون تسجيل هذه المرة، فوافقت وانتهت المحادثة بعد أن أقنعني بألا أعرض على الشاشة امتناعه عن الإجابة، وشعرت بالامتنان لدوره وخجلت من تصرفي «الصبياني»، خاصة أنه لو علم أنني صورت أسرى حرب منذ دقائق لما استطعت أن أقف أمامه من الخجل.

اجتمع العقل والنصائح على أن نبيت ليلتنا في **قندهار** التي وصلنا إليها مع منتصف الليل، لكن تسرعي ولهفتي على الوصول بالصور الخاصة والانتهاء من القصة وبثها على الهواء دفعتني إلى إكمال الطريق إلى العاصمة **كابل** رغم ما لمسته من خوف لدى السائق الخبير.

التعامل مع مسلحين مجهولين

أوقفتنا نقطة تفتيش خارج **قندهار**، ولم نكن نعلم ما إذا كانت تابعة للحكومة المحلية أم **لإسماعيل خان**، أم لأمير حرب آخر، ولكننا توقفنا حتى لا يطلقوا النار علينا وقد تجاوزنا منتصف الليل. اقترب شخص يحمل كلاشينكوف على كتفه من شباك السائق، وسأل: «**من أنتم**؟» مشيرا إلى الكاميرا على المقعد الخلفي للسيارة، فأجابه السائق: «**نحن من التليفزيون**»، فقط هكذا من دون أن يحدد أي تلفزيون، ومازلت أذكر إلى اليوم تعليق حامل الكلاشينكوف: «**أووه تاسو دي كرزي سيب مجاهدي دي**»، جملة لم أفهمها في لحظتها، ولكنها أثارت ضحك السائق والمصور وخففت التوتر، فتبادلا التحية مع حامل الكلاشينكوف، وانصرفنا في طريقنا لأسأل **تاج جل** السائق البشتوني عما دار بينه وحامل الكلاشينكوف بلغة البشتو، فقال لي إنه «**رجل بسيط جدا جدا وغير متعلم، وبمجرد أن أخبرناه بأننا من التليفزيون بدت عليه علامات الفهم، وعلق بما معناه الحرفي: آه، أنتم من مجاهدي السيد كرزاي**».

حامل الكلاشينكوف كان يقصد أننا نعمل موظفين في التلفزيون الأفغاني التابع لحكومة الرئيس **كرزاي**، ولكن لغته ومستواه التعليمي لم يسعفاه إلا لترجمة هذا المعنى إلى مفرداته اليومية التي لا تعرف إلا تعبير «مجاهدين»: جاهدوا الروس ثم انقسموا وأصبح كل يجاهد مع أحد قادة الجهاد السابقين أو أمراء الحرب كما وصفهم الإعلام الدولي في التسعينيات.

كاميرا ذات حدين

حمدت الله وشعرت بالامتنان للرئيس **كرزاي**، ولمرة نادرة شعرت أن أفغانستان أصبحت دولة قانون تطال يده المناطق النائية بعد منتصف الليل، ولكني اندهشت لأن حامل الكلاشينكوف لم يثره شكل الكاميرا التي كادت أن تودي بحياتنا مرات عدة ونحن نصور وننقل الأخبار من خلفها لمجرد أن شكلها من مسافة تبدو كسلاح خاصة لو حملت على الكتف، أو هكذا يدعون ■

العالم في حرب.. تجارب متنوعة

عمرو عبد الحميد*

في حالات كثيرة يحيد الإعلام عن دوره في نقل الصورة إلى المتلقي، ويصبح من أدوات إذكاء النزاعات المسلحة، سواء كانت تلك النزاعات داخلية، أي بين جماعتين أو أكثر في بلد واحد، أو على مستوى النزاعات الدولية. وهناك أمثلة عديدة على الحالتين، أذكر بالنسبة للحالة الأولى ما قامت به وسائل الإعلام من دور كبير في تأجيج الصراع السياسي بين حركتي فتح وحماس الفلسطينيتين، والذي سرعان ما تحول إلى نزاع عسكري شهده **قطاع غزة** عام 2006. وهكذا تحول الإعلام في هذه الحالة إلى اليد التي تصب الزيت على النار بين الحركتين. وقس على ذلك ما يجري في بعض البلدان الإفريقية بين جماعات مسلحة. وكذلك ما يجري بين أرمينيا وأذربيجان في نزاعهما على إقليم **ناغورنو كراباخ** أو بين روسيا وجورجيا قبل وبعد حرب آب/ أغسطس 2008 التي اندلعت بينهما على أراضي **أوسيتيا الجنوبية**، التي أعلنت انفصالها من جانب واحد عن **جورجيا**. وفي هذا المثال الأخير أسهم الإعلام الروسي، ونظيره الجورجي، في تأجيج النزاع بين الجانبين، حتى وصل إلى مرحلة الحرب. ولعل المثال الأبرز هو تغطية معظم وسائل الإعلام الغربية للفترة التي سبقت غزو العراق، وكيف كانت تصب باتجاه ترسيخ قناعة الرأي العام الدولي حول امتلاك **صدام حسين** أسلحة دمار شامل وهو ما تبين أنه لم يكن صحيحا بالمرة!

عمرو عبد الحميد

عمرو عبد الحميد مغطيًا الأحداث في العراق

REUTERS

صحافيان يخليان مدنيًا جريحًا

الحياد؟

من الصعب أن تجد نزاعا مسلحا حظي بتغطية محايدة. والأمثلة على ذلك لا تحصى. بيد أن معظمها يطرح أسئلة أكثر من تقديم أجوبة. فإذا أخذنا الحرب الأخيرة على **قطاع غزة**، سنجد أن قنوات عربية شهيرة انحازت في تغطيتها إلى الجانب الفلسطيني، وكشفت ما أطلقت عليه «جرائم حرب» هناك، وبالتالي لعبت دورًا كبيرًا في تأجيج المشاعر ضد الإسرائيليين رغم أن ميثاق العمل المهني الذي تتبناه تلك القنوات يقول باتباعها الحياد في تغطياتها، وفي عملها بشكل عام. في المقابل هناك قنوات دولية شهيرة رفضت بث نداء لإنقاذ سكان **غزة** بدعوى التزامها الحياد والمهنية. منْ كان على صواب في الحالتين؟ ذلك هو السؤال الصعب الذي يختلف كثيرون حوله، إلا أن الجميع ربما يتفق على صعوبة وجود تغطية محايدة في الحروب وفي النزاعات المسلحة.

معايير أخلاقية مزدوجة

في العام 2003 قررت قناة **أبو ظبي** إرسالي إلى العراق في عز احتدام الأزمة التي سبقت الغزو. كان ذلك في شهر شباط/ فبراير عندما وجدت نفسي في العاصمة الإيرانية **طهران**. كانت تلك نقطة البداية في الوصول إلى **كردستان** العراق، وقد اخترت لأنها كانت البوابة الأسهل آنذاك بسبب صعوبة الدخول من تركيا ومن سوريا. في **طهران** كان علي الانتظار عدة أيام قبل أن أتوجه بالطائرة إلى مدينة **لاروميه** قرب الحدود مع العراق. هناك كان ينتظرني الدليل، وهو شخص يمارس تجارة البضائع المهربة بين إيران و**كردستان** العراق. من المطار اصطحبني في سيارة إلى منطقة الجبال الحدودية، وهناك كان علي الانتظار حتى فجر اليوم التالي، حيث وضعني في سيارة نقل محملة بصناديق معبأة بالسجائر. أكثر من 5 ساعات قضيتها وسط الصناديق، إلى أن وصلت إلى **كردستان** العراق! إذا سألتني اليوم بعد مرور 8 سنوات : هل ما فعلته يعد أخلاقيًا؟! هل دخول مناطق النزاع بطريقة غير شرعية بغرض التغطية الصحفية يعد مقبولا؟! الحق أقول إنني حتى اللحظة أجد نفسي حائرا في الإجابة عن هذا السؤال! أحيانا ألتمس لنفسي العذر بالقول : لم تكن ثمة وسيلة أخرى للدخول إلى العراق.. لقد قدمت تغطية أحسبها موضوعية وأفخر بها على المستوى المهني!.. ربما أسعدني الحظ حيث كنت أعمل

هناك صوت داخلي يؤنبني إلى الآن ويقول: "لقد ارتكبت مخالفة قانونية".

وأتحرك بالتنسيق مع الإدارة في **أبو ظبي**، ولم أكن مثل زملاء فرضت عليهم ظروفهم أن يصاحبوا قوات طرف من أطراف النزاع. ومع ذلك هناك صوت داخلي يؤنبني حتى الآن ويقول: "**لقد ارتكبت مخالفة قانونية**"! في ذلك الحين لم يكن بمقدوري متابعة تغطية القنوات الأخرى للحدث. ولم أعلم في وقتها بالجدل الذي ثار حول عرض قنوات عربية صورا لجنود أسرى، وأخرى لجثث مدنيين من ضحايا القصف. لكن ذلك لم يمنعني من رفض عرض صور لجثة زميل صحفي غربي قتل في تفجير سيارة غير بعيد عن مكاني في شمال العراق. جاءني أحد الأشخاص بشريط يصور آثار التفجير وتظهر فيه الجثة (أو أجزاء منها) أراد أن يبيعه لي. رفضت على الفور ودون الرجوع إلى إدارة التحرير. أتذكر الآن الجدل حول عرض صور جثتي **عدي** و**قصي** نجلي **صدام حسين** بعد مقتلهما، وتبرير ذلك بقول "**إن المعايير تتفاوت من منطقة إلى أخرى بشأن ما يمكن عرضه في وسائل الإعلام**"، رغم أن الطرف نفسه هو الذي ندد قبل سنوات من هذه الحادثة ببث مشاهد لسحل جثة جندي في العاصمة الصومالية **مقديشو**! إذن الأخلاقيات التي يجب الالتزام بها عند تغطية النزاعات معروفة وواضحة في كل مواثيق الشرف للعمل الإعلامي، لكن الواقع يقول بأن الالتزام بهذه الأخلاقيات ليس موجودا بالقدر المطلوب.

في يد الله

في العام 2001، كنت أغطي الحرب التي شنها تحالف دولي على أفغانستان وتحديدا في منطقة **طالوقان** الشمالية. كنت مع زملاء روس وغربيين نقيم في أحد المنازل، عندما سمعنا ذات ليلة صوت إطلاق نار كثيف في المنزل المجاور. أسرعنا لنعرف ماذا جرى، فاكتشفنا مصرع زميلين من السويد على يد صبيين أفغانيين بدافع السرقة. أبلغت القناة بالخبر، ورتبوا معي مقابلة هاتفية على الهواء لأشرح التفاصيل. سألتني المذيعة الزميلة **ليلى الشيخلي** في نهاية المقابلة: «**كيف تحمون أنفسكم؟**» لم أجد إجابة سوى القول: «**عن أي حماية تتحدثين يا ليلى؟ نحن جميعا في يد الله**!». كان ذلك قبل عشر سنوات، ولم تكن القنوات العربية تراعي حينها سوى السبق الصحفي. اليوم ربما تعلمت تلك القنوات قليلًا من نظيراتها في الغرب التي تعلي من شأن السلامة الشخصية لصحفييها. فترسلهم في تدريبات للتعامل مع ظروف شبيهة إلى حد كبير مع ظروف الميدان. في **بي بي سي** مثلًا، لا يمكن إيفاد مراسل إلى النقاط الساخنة دون أن يمر بهذا التدريب الذي يستغرق أسبوعًا كاملا، يقوم على شأنه ضباط سابقون في الجيش البريطاني. ذلك بالتأكيد أمر طيب ومطلوب، أعي أهميته دون أن أفرط في قناعة أننا جميعًا في يد اللّه!

نقل الحقيقة

الصورة تلعب الآن دور البطولة في نقل الحقيقة أو في "صبغها " بالصبغة "المناسبة". انظر إلى ما يسمى بالربيع العربي، أنت تتابع كل شيء، ساعة بساعة، ولحظة بلحظة، حتى لو لم يكن هناك مراسل ينقل لك ما يحدث، وكل هذا بفضل صور **اليوتيوب** التي يلتقطها هواة لمظاهرات تجوب المدن أو لجنود يطلقون الرصاص على محتجين. تذكّر ما كان يحدث في الأيام الأولى لثورة 25 يناير في مصر عندما كانت كاميرا التليفزيون الرسمي تعرض صورا لصفحة النيل الرائقة ولهدوء **كوبري قصر النيل** بينما مئات الآلاف يحتشدون في **ميدان التحرير** ويهتفون بسقوط النظام. في كثير من الحالات، يعيش المسئولون عن الإعلام في عالم آخر لكن محاولات حجب الحقيقة بات محكوما عليها بالفشل، لأن هناك -دائما- صورا أخرى لا سبيل لمنعها من الوصول إلى المتلقي ■

* صحافي وكاتب قصة مصري مقيم في لندن حاليا

قد يذهب صحافي إلى أبعد مكان في العالم للوصول إلى حقيقة ما، ونقلها إلى من يقرأه، يشاهده، أو يستمع إليه، وبدون أن يكون جزءا من القصة، لكن هذه الشهادة تروي تجربة صحافية انخرطت في العمل الإنساني، فامتلكت أكثر من عينين للرؤية.

من دفتر صحافية في مهمة إنسانية: الغجر

«**نيو** جيبسيز»، أو الغجر الجدد، هو اللقب الذي أطلقه كاتب رسالة إلكترونية ساخرة تبادلها الآلاف أو ربما مئات الآلاف من العاملين في مجال الإغاثة الدولية في إطار الهيئات التي هبت لهدف أو لآخر للدفاع عن المتعبين في أنحاء العالم، من جراء الحروب والصراعات أو كوارث غضب الطبيعة التي تتجدد سنويًا. تلقيت هذه الرسالة من صديقة تزاملنا في رحلة عمل في شمال العراق، بعد سقوط بغداد في التاسع من نيسان/ أبريل 2003، واحتفظت بها في صندوق بريدي الإلكتروني لأقرأها كلما قررت العودة إلى العمل في هذا المجال. الرسالة واقعية جدًا وساخرة للغاية من هؤلاء الذين يجتثون جذورهم الجغرافية في محاولة لزرعها في مناطق أخرى، إما هربًا من عواطف تركت آثارها على القلب والروح، أو مغامرة من أجل اكتشاف مجهول، أو راتب يمكن لاحقًا إنفاقه للتخلص من الآثار المترتبة على العمل في مناطق الأزمات.

ومع ذلك لم تمنعني تلك الرسالة من الموافقة على العمل في شرق تشاد، حيث آثار الأزمة الدارفورية تعصف بالجميع. وربما تحاشيت قراءة تلك الرسالة لأفيق على دهشة صديق التقيته في مقر المؤسسة الدولية التي وقعت عقدًا للعمل لصالحها كمسؤولة إعلامية.

وهكذا، وجدت نفسي أسير خلف قدري نحو منطقة تعاني من اندلاع الصراع في **دارفور** في 2003؛ حيث تحول خلالها شرق تشاد إلى أحد تجليات مأساة دارفور.. إذ لا يمكن فصل ما يحدث في دارفور عما يحدث على الجانب الآخر في شرق تشاد، حيث تسبب تقسيم الحدود في نهاية العهد الاستعماري بين انجلترا وفرنسا في تمزيق القبائل بين حدود مصطنعة. في تلك المنطقة لا يفصل بين أفراد القبيلة وسلطانها سوى وديان تغمرها مياه الأمطار في الخريف، ثم تجف بعدها، لتسمح بتبادل الزيارات دون جواز سفر أو نقاط عبور.

وفي ضوء الأوضاع المتردية، فتحت تشاد أبوابها لهيئات ومؤسسات الإغاثة للعمل عبر أراضيها، ليس فقط من أجل اللاجئين السودانيين، وإنما من أجل النازحين التشاديين المتضررين الذين لا يحظون بأي دعم، ماديًا كان أو معنويًا. وهكذا، امتلأت المنطقة بالغجر الجدد -وأنا من بينهم- الذين يتنقلون مع هيئاتهم لمتابعة أحوال نحو ربع مليون لاجئ سوداني، ينتمون في معظمهم إلى القبائل الأفريقية التي عبرت الوديان الفاصلة بين البلدين للاستقرار في 12 مخيمًا تابعة للأمم المتحدة على امتداد الحدود التشادو-سودانية والتي كانت في 2009 على النحو التالي: مخيم أوري كاسوني، الذي ضم 25 ألف لاجئ، إريديمي: 18 ألفا،ميله: 15 ألفا، كونونجو: 12 ألفا، أم نبق: 17 ألفا، تولوم: 22 ألفا، جاجا: 16 ألفا، فرشانا: 20 ألفا، تريجين: 15 ألفا، بريجين: 30 ألفا، جبل: 15 ألفا، جوز أمير: 18 ألفا.

وبين بعض تلك المخيمات تحركت أحمل اللقب الذي أحمله كغجرية جديدة، ولكن يبدو أن ذلك المصطلح لم ينج من منافس أطلقته على ما يحدث من سوء معاملة أطفال المنطقة التي عملت فيها ألا وهو «العبيد الجدد»، حيث يقع على أطفال منطقة الصراع بين تشاد والسودان العبء الأكبر الذي يتحولون بمقتضاه -وخاصة الإناث منهم- إما إلى عبيد لأسرهم لجلب المياه والحطب والمساعدة في حمل الأشقاء الأصغر، أو يزج بهم للتدريب على القتل وحمل السلاح، وغالبًا ما يكونون على قمة قائمة الضحايا نتيجة لغارات مسلحة. وقد صككت تعبير «العبيد الجدد» قبل عامين، مع ورود أخبار عن بيع أطفال الإقليم لعائلات ميسورة خارج تشاد أو السودان، بحجة تأمين حياة كريمة لهم، بعد أن وصلت معدلات سوء التغذية إلى نسب غير مسبوقة بالإضافة إلى ارتفاع معدلات وفيات الأطفال التي تعد الأعلى في العالم في تشاد: 115 طفلا من بين كل 1000 مولود. وربما شجع هذا عددا من الهيئات الدينية على العمل في شرق تشاد لإنقاذ الطفولة الجائعة كما في دار أيتام **مكان السلام** – أو «بكان السلام» كما ينطقونها في العربية التشادية. تستضيف الدار أطفالا ممن فقدوا الأب والأم لتغذيتهم وعلاجهم، ثم إعادتهم إلى عائلاتهم الكبيرة، وفيها يتعلم الأطفال بعض قواعد اللغة الفرنسية. ومع ذلك يظل دور الدول العربية

أمال عويضة

والإسلامية محدودًا في تشاد، عدا محاولات منظمة الإغاثة الإسلامية لإيجاد موطئ قدم، بالإضافة إلى بعض الجهود الفردية من أثرياء عرب لحفر آبار أو بناء مساجد، ولكنها جهود فردية غير منظمة تعمل على حفظ الحياة دون أن تكون هناك تنمية حقيقية لصالح

آمال عويضة*

غالبًا ما يكون الأطفال والنساء على رأس قائمة الضحايا في الغارات المسلحة على الحدود التشادية السودانية

آمال عويضة

ملايين تشادي بينهم أكثر من 150 ألف تشادي يعيشون على الكفاف، طبقًا لإحصائيات الأمم المتحدة في نيسان/ أبريل 2007، فضلًا عن مشكلات متفاقمة ليس أقلها عدم توافر الأمن وارتفاع نسب البطالة والأمية وانخفاض الأجور وعدم توافر الحد الأدنى من الخدمات بعيدًا عن العاصمة، وخاصة فيما يتعلق بظاهرة «الجنود الأطفال»، التي لم تعترف بها تشاد إلا قبل عامين في إطار مناقشاتها مع صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «اليونيسيف»، بالإضافة إلى الآلاف من «أطفال الشوارع» الذين يملأون شوارع العاصمة **أنجمينا** ومدينة **أبيشة**، دون حلول حقيقية لإنقاذهم، فضلًا عن غياب الأمن المرجو للهيئات الدولية العاملة هناك.

هكذا، تحركت مع مئات أحمل لقب غجرية جديدة ولكنها مؤقتة، إذ إنني كنت أومن بعودتي ثانية إلى مدينتي المزدحمة وبيتي وسريري، وهو ما حدث بالفعل إذ سرعان ما تخلصت من اللقب، ولكنني لم أستطع قط التوقف عن متابعة أخبار المنطقة التي عملت بها، وأثقلتني بصور أطفالها ومآسيهم التي تفقدهم كل بريق لأيام طفولة يتم اغتيالها يوميًا ما لم يتوصل كبار مناطقهم إلى حل يحسم أمر طوفان المشكلات الذي يعصف بالجميع في ظل ظروف معيشية غير إنسانية لا يهتم كثيرون بحلها ■

* كاتبة مصرية

آمال عويضة

آمال عويضة

10 لقطات من تشاد:
البهجة في قلب المأساة

في معرضي الأول للصور الفوتوغرافية والذي تم عرضه في أكثر من قاعة في العاصمة المصرية القاهرة، في بداية العام 2009، بالتزامن مع صدور مجموعتي القصصية «سيدة الأحلام المؤجلة» –وهو عنوان المعرض أيضًا– جاءت الصور تحية وشوقا لصديقاتي الطيبات الرُحّل بين الحدود المصطنعة في بقعة تصحرت بين تشاد والسودان. هن كلثومة وسبيلة وزينبا وفاطمة وكثيرات التففن حولي بعد ساعات عملي الرسمية، وشاركنني ضحكات وقهقهات أزهرت في حدائق أرواحهن التي تمردت على حدود يعشن فيها بين مخيم لاجئين للقادمين من دارفور أو مخيم نازحين للمتضررين من الصراع الداخلي في تشاد، وذلك بناء على وصف الهيئة الدولية التي عملت معها، وهو الوصف الذي لا تفهمه هؤلاء النسوة المنتميات للقبيلة وسلطانها، أما الجغرافيا فهي أمر يخصنا نحن فقط الغرباء.

ولأسباب عدة، وقبل أن أرحل، استأذنتهن في التقاط صور تذكارية تجمعنا، وكان ردهن ترحيبا وابتساما ودعوة لجميع الجارات للحضور والتقاط الصور قبل رحيلي، على أمل عودة قريبة أصطحب فيها نسخا من الصور، وهو ما لم يحدث. وما زلت أذكر فرحتهن الصاخبة برؤية صورهن على شاشة كاميرتي الرقمية، وشغفهن بما أقصه عن دراستي وبيتي وعملي وسفري ومصر، و ما زلت أذكر دعاءهن لي بالخير الوفير.

وفي القاهرة، ظلت الصور محبوسة على جهازي لأشهر طويلة، قبل أن أقرر إقامة معرض لصور صديقاتي تحية لهن ولكفاحهن وابتساماتهن التي لابد أن نتعجب لوجودها في ظل ضراوة العيش في مناطق كالتي يعشن فيها، وفي ظروف حتما هي غير إنسانية بكل المعايير. وكان هذا لافتًا لنظر زوار معرضي، وعلى رأسهن الدكتورة عواطف عبد الرحمن أستاذة الصحافة بكلية الإعلام في جامعة القاهرة، التي اندهشت للبهجة التي أحاطت بصور جاءت من قلب «مأساة» دارفور، تشاهدون هنا عشرًا من هذه الصور:

آمال عويضة

آمال عويضة

وجاء هذا بعد العام 2003، وبعد أن ساءت الأحوال على جانبي خط الحدود الوهمي الذي يفصل بين قبائل لم تدرك قط حاجتها إلى وثائق هوية، ولم تعرف فرقًا بين عربي وأفريقي إلا بعد أن تدخل المستفيدون، فاستحكم ضيق الحلقات على الجميع، وخاصة في تشاد التي ينام على حدودها غالبية من النساء اللاتي احترقت أكواخهن، ومات رجالهن، وأصبحن بلا مأوى مثل سبيلة، أو أطفال مثل زينبا التي حملت شقيقها الأصغر راكضة في أعقاب إحدى الهجمات الانتقامية.

آمال عويضة

وأصبحت تشاد مقصدًا للعديد من هيئات الإغاثة الدولية الشهيرة منها والمغمورة، ويعمل الجميع في ظل ظروف صعبة وخطرة بين انعدام الأمن ووحشية الطبيعة بين صيف مشتعل تتجاوز حرارته الخمسين، وخريف تمتلىء فيه الطرق والوديان بمياه الأمطار، حيث يصبح من المعتاد رؤية سيارات غارقة في انتظار من ينقذها.

في تشاد، تشكلت تحت سمع وبصر العالم مأساة أخرى تشبه كارثة الجيران في دارفور، ورحبت الحكومة التشادية بتدخل الهيئات الدولية للإغاثة ليس فقط من أجل اللاجئين السودانيين، ولكن أيضًا من أجل النازحين التشاديين الذين تركوا قراهم خلفهم

قال حكيم: «الابتسامة تشق طريقها ولو في الصخر»، وينطبق ذلك على تلك الظروف الشاقة التي يعيشها نحو ربع مليون لاجئ سوداني و150 ألف نازح تشادي- طبقا لإحصائيات العام 2008- على امتداد الحدود التشاد-سودانية. هناك تشكل النساء والأطفال الغالبية العظمى من الفئات المتضررة التي تجد في نفسها رغم كل الآلام والمصاعب القدرة على رسم ابتسامة رضا على الرغم من فقدهن للآباء والرجال في معارك أشعل شرارتها انتقام وصراع على حدود ومناطق سيطرة.

آمال عويضة

يظل الفارق بين العربية الفصحى والعربية التشادية مثل أن يقول لك أحدهم: «سلامتك» وأن يقول لك تشادي: «ما شاء الله»، إذ يبدو مضحكًا وغريبًا عندما تقول لأحدهم إن الملاريا أصابتك فيرد: «ماشاء الله». هكذا اعتادوا في سياق سلاماتهم ومقدماتهم للحديث، ماشاء الله والحمد الله وعافية، كلها كلمات تتكرر في إيقاع يبدو أحيانًا راقصًا قد يستمر بلا مبالغة دقيقتين أو ثلاثًا قبل أن يبدأ حوار حقيقي.

آمال عويضة

ربما تحتاج تشاد لعقود للخروج من مأزق الهويات القاتل والقضاء على تلك العداوات الكثيرة الممتدة بين قبائل الشرق والجنوب أو بين مزارعين ورعاة، ولكنها تحتاج لحكماء يعيدون مباركة خريطتها بماء المحبة لا بدماء الكره، وأجيال تتجاوز أزمة هوية وطن صنع البشر مشكلته بأنفسهم.

آمال عويضة

يبلغ مهر العروس من قبيلة الزغاوة ذات الجذور الأفريقية نحو مليون ريال، هو أعلى ما يمكن تقديمه من مهر في تشاد، وهو يساوي نحو 10 آلاف دولار. والمهر يحدده سلطان القبيلة. وفي السيرة الهلالية يمكنك أن تجد آثارًا لميراث الصراع بين الزجاوة وبني هلال، مما يجعل من مأساة اليوم امتدادًا لتراث العداء الذي لم تمحه مواسم المطر.

آمال عويضة

في شرق تشاد الذي يضم غالبية مسلمة، تفرض التقاليد ألا تذهب المرأة الشابة إلى المسجد باعتباره أمرًا غير مقبول عدا في شهر رمضان الذي تذهب فيه النساء من كافة الأعمار لأداء صلاة التراويح، ويسمح لهن بالصلاة خلف المسجد أو خارجه على مسافة لا يصلها صوت واضح بسبب عدم وجود مكبرات الصوت التي تحتاج للكهرباء.

آمال عويضة

اختارت أم أماني السودانية المنتمية إلى قبيلة الفور، البقاء في السودان، في ما عبر أقاربها الحدود بحثًا عن الأمان، وخلفهم جاءت المرأة وأمها العجوز، على ما في ذلك من مخاطرة للبحث عن شقيقها عز الدين الذي ضل الطريق قبل عام، وعمل راعيًا لدى تاجر تشادي آواه ومنحه أجره، ليشتري به الصبي البالغ من العمر 15 عامًا غنمًا يرعاها لحسابه، قبل أن يعثر على شقيقته الكبرى.

آمال عويضة

فرص العمل النادرة في تشاد تجعل من العثور على عمل حكومي أمرًا غاية في الصعوبة لحديثي التخرج الذين يجب عليهم إجادة الفرنسية للعمل في إحدى الهيئات الدولية. وعلى الرغم من ذلك، حاربت امرأة مثل خديجة التي تطوعت للخدمة في مستشفى أبيشة عاصمة الإقليم الشرقي، لإسعاف المصابين فور تعرض المدينة لهجوم من معارضين مسلحين في تشرين الثاني/ نوفمبر 2006. بقيت خديجة لعدة أيام دون نوم، لإثبات جدارتها بالتعيين ممرضة، للإنفاق على تعليم بناتها الثلاث، وذلك بعد رفضها العودة إلى العاصمة، حيث تقيم أسرتها.

صحافيون

دوروثيا كريميتساس*

REUTERS

تقول عناوين الأخبار: "**مقتل مصور صحافي بارز في ليبيا**"، و"**ليبيا تطلق سراح الصحافيين المحتجزين**"، و"**إطلاق الرصاص على صحافي خاص وإصابته بجروح في طرابلس**". هذه ليست سوى أمثلة قليلة للقصة المتكررة ذاتها: فمناطق الحروب أماكن خطرة، والإعلاميون الذين يعملون في ليبيا لم ينجوا من الأذى أو الخطف أو الموت.

تُعرف اللجنة الدولية بما تقدمه للمدنيين المتضررين من الحروب، أما المساعدة التي تستطيع تقديمها للصحافيين في المهمات الخطيرة فغير معروفة بالدرجة نفسها. ولأن الصحافيين يتمتعون بالحماية نفسها التي يتمتع بها المدنيون بموجب القانون الدولي الإنساني - وهو القانون الذي يحد من السبل التي تُشن بها الحروب، ولأن الصحافيين يتعرضون، في أغلب الأحيان، إلى مخاطر جمة عند تغطيتهم مناطق النزاع، خصصت اللجنة الدولية خطا ساخنا يعمل على مدار اليوم لتمكين الصحافيين وأسرهم والجهات التي يعملون لها، من التقدم بطلبات للمساعدة من منطلق إنساني بحت. والشاغل الرئيسي للجنة الدولية، وهدفها الأكبر، هو تحسين ظروف الأشخاص المتضررين من النزاعات والأعمال العدائية، ومن بينهم الصحفيون.

إدارة خط ساخن ليست بالمهمة السهلة، فالاستجابة الفعالة تتطلب السرعة والتنسيق مع العاملين في الميدان، والأهم من ذلك، المشاركة الوجدانية مع الأسر والأصدقاء وأرباب العمل، فوراء كل طلب أناس يتألمون ويتلهفون على سماع أخبار.

REUTERS

"هل يمكنكم عمل شيء؟"

أثناء تغطية المعارك المندلعة خارج **طرابلس**، يختفي أحد الصحافيين. تتصل الجهة الإعلامية التي يعمل لديها بالخط الساخن طلبا للمساعدة. لا أحد يعلم بالتحديد ظروف اختفائه، ولكن المعلومات القليلة التي يمكن جمعها من هنا وهناك توحي بأنه ربما جرى توقيفه.

يقول رئيس التحرير للخط الساخن التابع للجنة الدولية: "**فقدنا الاتصال به، لا يرد على هاتفه، لم يعد يرسل شيئا على تويتر**"... "**نحن في غاية القلق**". يقول من نتصل بهم في الميدان إنه "**ربما تعرض للاحتجاز في مكان ما في العاصمة، ولكن ليست لدينا طريقة لمعرفة مكانه، هل يمكنكم عمل شيء؟**"

بعد المكالمة بعدة دقائق، تتصل أسرة الصحافي المختفي، وتقول: "**لا أحد يمكنه إخبارنا بأي شيء، من المؤلم أننا بعيدون ولا نعرف ماذا نفعل. قالوا لنا إنكم يمكن أن تساعدونا...**".

تتصل المنظمات الإعلامية وأسر الصحفيين كثيرا باللجنة الدولية أملا في مساعدتها على

التغطية الصحفية للحروب اليوم ليست أكثر أمانا مما كانت عليه في الماضي. ورغم كل تدابير السلامة المتبعة، والاحتياطات المتخذة، تظل تغطية الحروب عملا محفوفا بالمخاطر الشديدة، بل من الملاحظ أن المخاطر في ازدياد.

* Dorothea Krimitsas نائب مدير وحدة الإعلام في اللجنة الدولية، جنيف
** رقم الخط الساخن الخاص بالصحافيين
++ 4179 2173 285

إدارة خط ساخن ليست مهمة سهلة .. فالاستجابة تتطلب السرعة والتنسيق مع العاملين في الميدان

في خطر: هنا الخط الساخن**

تحديد مكان الأقارب والأصدقاء والزملاء وزيارتهم إن كانوا محتجزين. وعلى مدى الشهور الستة الماضية، تلقت اللجنة الدولية طلبات عن طريق الهاتف والبريد الإلكتروني على مكاتبها في كل من **طرابلس** و**بنغازي** و**جنيف**. كما استُخدم "**تويتر**" أيضا للمرة الأولى لطلب المساعدة من اللجنة الدولية.

كل معلومة مهمة

بطبيعة الحال، يمكن للجنة الدولية التحرك فقط حيثما يكون لديها موظفون في الميدان. ومعالجة طلب على الخط الساخن عملية طويلة تجري في أغلب الأحيان بعيدا عن الأنظار. تُرسل المعلومات الأساسية مثل اسم الشخص وتاريخ ميلاده وجنسيته وأسباب طلب المساعدة إلى متخصصي اللجنة الدولية في الميدان، إذ يتطلب الحصول على نتائج تعاون عدد من العاملين في أنشطة مختلفة، مثل زيارة المحتجزين في أماكن الاحتجاز والبحث عن المفقودين وتقديم المساعدات الطبية.

تشرع اللجنة الدولية في المساعدة عادة حينما لا تستطيع جهة أخرى ذلك. ولم يكن الحال مختلفا في ليبيا. على مدى الأشهر الستة الماضية وحدها، تحركت اللجنة الدولية في ليبيا بشأن ما لا يقل عن 50 إعلاميا ما بين صحافي ومحرر ومصور، وسائقيهم ومترجميهم،... إلخ، سواء كانوا يعملون على نحو مستقل أو لمنافذ إعلامية، في محاولة منها لتحديد أماكن وجودهم، وخلق وسيلة اتصال مع أسرهم، وزيارتهم إذا كانوا محتجزين، أو المساعدة على نقلهم إلى مكان أكثر أمنا.

نجحت اللجنة الدولية، في عدد من الحالات، في زيارة صحافيين في السجون الليبية، واستطاعت في بعض الأحيان توفير الفرصة لصحافيين لإرسال رسائل إلى أسرهم. وبذلت، في حالات أخرى، مساعي لدى السلطات للحصول على معلومات: أي معلومة بسيطة ربما تكون ذات أهمية. فالتأكيد، على سبيل المثال، على أن الشخص أُلقي القبض عليه، وأنه على قيد الحياة، يمكن أن يكون مصدر ارتياح كبير للأسر وأصحاب الأعمال القلقين.

تدابير سرية

حظيت بعض التحركات التي قامت بها اللجنة الدولية بتغطية إعلامية مكثفة، مثل إجلاء أكثر من 30 صحافيا من فندق **ريكسوس** في **طرابلس** يوم 24 آب/أغسطس، فيما يقع الجزء الأعظم من جهودها بعيدا عن الأنظار. وتتعامل اللجنة الدولية بسرية مع حالات الخط الساخن، وتتوقع الحذر نفسه من أولئك الذين طلبوا المساعدة إزاء المعلومات التي تُعطى لهم. وهناك سببان لهذا: أولهما أن السرية ملمح رئيسي لتدابير العمل التي تنهجها اللجنة الدولية، والتي ثبتت فعاليتها في كسب ثقة جميع من تتعامل معهم ومنحها إمكانية دخول أماكن لا يُسمح فيها بالدخول للآخرين. والسبب الثاني هو أن اللجنة الدولية تعمل في أغلب الأحيان في حالات تتسم بالحساسية الشديدة - حساسية تبلغ شدتها في الواقع أنه ربما تتوقف عليها حياة شخص أو موته ■

معالجة طلب على الخط الساخن عملية طويلة تجري غالبًا بعيدًا عن الأنظار

غوانتانامو: السعادة على الجانب الآخر من الشاشة

عدنان حزام*

في خضم المآسي الإنسانية حول العالم، تتجلى جهود المنظمات الإنسانية لتخفيف معاناة أعداد هائلة من الضحايا، قدر المستطاع. من تلك الجهود ما تقوم به اللجنة الدولية من خلال أحد برامجها الخاص بإعادة الروابط الأسرية وجعل التواصل ممكنا بين المحتجزين في خليج غوانتانامو وأحبائهم.

تزور اللجنة الدولية الأشخاص المحتجزين في خليج **غوانتانامو** منذ العام 2002. وأجرت، منذ ذلك الحين، حوالي 75 زيارة، تابع مندوبو اللجنة خلالها ظروف المحتجزين المعيشية. وتشمل هذه الزيارات مساعدة المحتجزين في **غوانتانامو** على الحفاظ على الروابط العائلية مع ذويهم، وذلك من خلال خدمات الرسائل الخطية أو المكالمات الهاتفية أو الاتصالات بالصوت والصورة التي تقدمها اللجنة الدولية، وتشكل همزة الوصل بينهم وبين ذويهم.

ألم الفراق

تتحدث والدة أحد المحتجزين عن ابنها والدموع تنهمر من عينيها، قائلة «**لا أعرف طعم الراحة منذ أخبروني بأنه معتقل في غوانتانامو. أعيش في قلق دائم، ويشغلني دائما ما إذا كان جائعا أو مريضا. أتمنى أن أضمه إلى صدري، وإذا جاء الموت بعد ذلك فمرحبًا**».

تجلس الأخت الصغرى في صمت قرب والدتها حاملة صورة لأخيها المحتجز وكأنها تقول للعالم: «**أريد أخي، أعيدوا لي أخي**». هذه العائلة تمكنت من الحديث مع ابنها من خلال خدمة المكالمات عبر الفيديو التي تقدمها اللجنة الدولية. لم يستطع الوالد أن يتمالك نفسه، وأجهش بالبكاء، عندما رأى ابنه يتحدث إليه عبر الشاشة، وتضيف الأم: «**هذا هو الرابط الوحيد الذي يخفف من آلامي على فراق ابني**».

فراق ومعاناة مادية

يقول شقيق أحد المحتجزين إن أخاه كان العائل الرئيس للأسرة، إلا أن الحمل كله وقع عليه منذ احتجاز أخيه. ويتحدث الأخ عن اشتياق أخيه المحتجز للعودة إلى الوطن، وإلى منزلهم الكائن في أحد الأحياء القديمة في **صنعاء**، الأمر الذي عبر عنه من خلال تواصله مع أهله عبر إحدى المكالمات التي نظمتها اللجنة الدولية بين الأسرة في اليمن وابنها في **غوانتانامو**. يقول: «**كان أخي إنسانا طيب القلب، ودائم الاستعداد لتقديم يد العون للغير، وهو الذي كان يعيل أسرتنا المكونة من عشرة أفراد ويلبي كافة متطلباتها. لكن منذ احتجازه، أصبح الحمل ملقى على عاتقي في رعاية الأسرة. أتمنى أن يعود أخي لترجع البسمة إلى بيتنا**».

يتكلم والد أحد المحتجزين بحرقة غامِرة على فراق ابنه، واصفا كيف أثر ذلك على صحته ونفسيته. يقول الوالد السبعيني إن ابنه كان يساعده على تجاوز أعباء الحياة في توفير الاحتياجات اليومية وإيجار المنزل، داعيا أن يفرج عنه وبقية المحتجزين. ويصف أب آخر حال زوجته بالقول إنها لا تكف عن البكاء عندما يذكر اسم ابنهما، وإن أولاد ابنه المحتجز يشعرون بالوحدة في غياب والدهم، قائلا والبريق في عينيه: «**أنا متفائل بأنني سأرى ابني قريبا، ومؤمن بقدرة الله على ذلك**».

تعددت أوجه آلام تلك الأسر والهم واحد، وهو عودة أبنائهم إلى ديارهم وأحبائهم.

معاناة أكثر من طرف

يقول **محمد الأحمدي**، وهو صحافي يمني وناشط في قضايا حقوق الإنسان، كتب العديد من المقالات الصحافية حول محتجزي **غوانتانامو**، «**إن قضية المحتجزين هناك لا تزال واحدة من أبرز القضايا الإنسانية. فمشكلة غوانتانامو هي أن ضحاياه أكثر من طرف. من جهة، هنالك المحتجز الذي تمر سنوات عمره داخل المعتقل، وما إن يمر الوقت حتى يفقد في موطنه أعزّ المقربين إليه؛ ومن جهة أخرى، هناك الأسرة التي تواجه عواقب يومية نتيجة لهذا الاحتجاز. أحد المحتجزين كمثال، بعدما عاد إلى اليمن كان قد فقد إلى الأبد إمكانية رؤية طفليه وشقيقه الذين كانوا**

REUTERS

* مسئول الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء

** حفاظا على خصوصية عائلات المحتجزين، لم نُشر إلى أسمائهم أو ذويهم المحتجزين، وأشرنا فقط إلى صلة القرابة (أم، أخ، أب، أولاد...).

قد توفوا قبل سنوات عدة، أثناء احتجازه». ويضيف الأحمدي: «العديد من معتقلي غوانتانامو فقدوا آباءهم أو أمهاتهم أو كليهما أثناء المدة التي يقضونها في المعتقل. العديد منهم تجاوز أبناؤهم مرحلة الطفولة وعيونهم تنتظر لحظة اللقاء، يتجرعون مرارة اليتم في ما آباؤهم على قيد الحياة».

وحول التواصل ما بين الأسر وذويهم، يقول الأحمدي: «خدمة اللجنة الدولية في خلق التواصل مابين الأسر وذويهم المحتجزين وخاصة المكالمات بواسطة الفيديو تلقى تقديرا من تلك الأسر التي تقول إنها تنتظرها بفارغ الصبر، فقد أثارت تلك المكالمات الفرحة في نفوسها، وأعتقد أنها فعلت الأمر نفسه في نفوس المحتجزين أيضا». ويضيف: إن بعض عائلات المحتجزين المقيمة خارج اليمن «تأتي إلى هنا من أجل تلك المكالمات، وهذا يدل على أهميتها».

محاولة لسد الفجوة

يقول عاصم العيسوي، المندوب في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء، المكلف بزيارة المحتجزين اليمنيين في خليج غوانتانامو: «بعد التواصل بين المحتجزين وعائلاتهم لعدة سنوات عن طريق الرسائل الخطية والمكالمات الهاتفية، استطاع المحتجزون وذووهم رؤية بعضهم البعض عبر الشاشة، والتحدث فيما بينهم من خلال خدمة المكالمات بواسطة الفيديو لتبادل أخبار العائلة». في كانون الأول/ ديسمبر 2010، توسعت هذه الخدمة لتشمل اليمن لأول مرة. ويبلغ عدد اليمنيين المحتجزين في خليج غوانتانامو 90 مواطنًا، و«هو العدد الأكبر بين جنسيات المحتجزين هناك».

ويقول العيسوي: «مثل هذه الخدمة لا يمكن أن تحل محل لقاء الأهل، ولكنها تبقى أفضل بكثير من المكالمات الهاتفية أو الرسائل الخطية، كونها تمكن المحتجزين من التواصل مع أسرهم بالصوت والصورة». ويضيف: «أنت كإنسان تشعر بالسعادة عندما تقدم المساعدة للآخرين، فالعمل في هذا البرنامج يجعلك تشارك الأسر والمحتجزين آلامهم من جهة، وسعادتهم عندما يسمعون أخبارا جيدة عن بعضهم البعض، من جهة أخرى. ومع أن ترتيب هذا النوع من المكالمات قد يكون صعبا في بعض الأحيان بسبب فروق التوقيت بين اليمن وغوانتانامو وانقطاع خطوط الهاتف والمسافات البعيدة التي تأتي منها الأسر، فإن امتنانهم يجعلك تمضي في تجاوز العقبات من أجل أن تقدم أكثر فأكثر».

ويروي العيسوي أحد المواقف التي أثرت فيه، وهو يعمل في هذا البرنامج: «أتذكر جيدًا عندما طلب أحد المحتجزين مني أن أبحث عن والده في اليمن ومحاولة ترتيب مكالمة هاتفية معه. من حسن الحظ، تمكنا من العثور على والده وإجراء المكالمات الهاتفية بينهما. لا أستطيع أن أصف شعوري عندما رأيت السعادة الغامرة في وجه الوالد المسن بمجرد سماع صوت ابنه عبر الهاتف، وأراد أن يعبر لنا عن امتنانه بأي شكل. في النهاية، إسعاد الناس يمنحني القدرة على الاستمرار رغم التحديات التي تواجهنا في تنفيذ هذا البرنامج» ■

والدة محتجز: هذا هو الرابط الوحيد الذي يخفف آلامي على فراق ابني

REUTERS

النساء المعيلات في العراق..

بفقدان العائل .. تجد الأرامل أنفسهن فجأة مسؤولات عن إعالة أسرهن

ICRC

ICRC

في اللحظة التي تفقد فيها المرأة معيلها، تنقلب حياتها رأسًا على عقب. اللجنة الدولية للصليب الأحمر أجرت استبيانا في العراق أظهرت نتائجه الكثير من التفاصيل حول حال النساء المعيلات في العراق ومأساتهن.

مشكلة تنتظر الحل

في بعض الليالي لا يعرفن طعمًا للنوم إلاَّ بعد أن يجهدهنَّ البكاء، في ما تطاردهنَّ الكوابيس في ليال أخرى. لذا، يلجأن إلى الدعاء من أجل راحة البال. هنّ الأرامل والنساء اللواتي أضحى أزواجهن في عداد المفقودين أو المحتجزين، ووجدن أنفسهن بين ليلة وضحاها مسؤولات عن تأمين لقمة عيش أولادهنَّ، وضمان مواصلة تعليمهم.

على مدى العقود الثلاثة الماضية، عانى العراق من النزاعات المسلحة والعنف الطائفي، ما أدى إلى سقوط مئات الآلاف من الضحايا. ووجدت الأرامل أنهنَّ فجأة مسؤولات عن إعالة أسرهنَّ.

وعلى الرغم من عدم توافر إحصاءات رسمية، تشير التقديرات إلى أن هناك أكثر من مليون امرأة معيلة في العراق. وفي مثل هذا المجتمع الذكوري، لا يعمل سوى عدد قليل جدًا من النساء خارج المنزل. لذا، ففي اللحظة التي تفقد فيها المرأة معيلها، تنقلب حياتها رأسًا على عقب.

وبعد فقدان أزواجهنّ، تجد النساء أنفسهن في كثير من الأحيان مرغمات على الفرار إلى مكان آمن، بعيدًا عن المعارف والجيران. وعادة ما يلجأنّ إلى عائلاتهنَّ، لكنهن يصبحن عبئًا عليها في ظل الصعوبات الاقتصادية التي تعاني منها العائلات العراقية عامة.

وحين تجد النساء أنفسهن وحيدات، وبلا دخل، يتوجب عليهن إيجاد وسيلة لمواجهة المصاعب الهائلة التي طرأت دون سابق إنذار، فقد أضحين مجبرات على تولي المسؤوليات الموكلة تقليديًا إلى الرجل، والسعي لتغطية نفقات الأسرة. لكن الفشل يكون حليف هذه المهمة في غالب الأحيان.

تعتبر النساء المعيلات من الفئات الأكثر ضعفًا في بلد لا يزال العنف فيه منتشرًا على نطاق واسع. وعلى الرغم من أنَّ المجتمع العراقي أصبح أكثر ميلًا لتقبُّل عمل هؤلاء النسوة واستقلالهنَّ، فإن التغير بطيء للغاية، وفرص العمل نادرة. وقبل أن تتمكن المرأة من التكيّف مع دورها الجديد كمعيل للأسرة، يكون أبناؤها قد غرقوا في براثن الفقر المدقع.

ومنذ العام 2008، أطلقت اللجنة الدولية سلسلة من البرامج لغرض المساعدة في تلبية بعض احتياجات الأسر التي تعيلها النساء، مثل توزيع مواد الإغاثة، والمشروعات الصغيرة المدرة للدخل، وتقديم الدعم إلى النساء الساعيات للتسجيل لدى دائرة الرعاية الاجتماعية.

وفي إطار تقييم اللجنة الدولية المتواصل للاحتياجات الإنسانية، أجرى مندوبوها 119 مقابلة متعمقة مع نساء معيلات في العراق خلال النصف الأخير من العام 2010.

وفي حين كشفت نتائج الاستبيان عن واقع أليم، ألقت بصيصًا من الأمل، وأظهرت الحاجة الملحَّة لاتخاذ إجراءات عاجلة لمساعدة هؤلاء النسوة وأطفالهن من أجل منحهم فرصة لمستقبل أفضل.

التأقلم مع فقدان الزوج

قتل عشرات الآلاف من المدنيين في النزاعات المسلحة وغيرها من أعمال العنف التي شهدها العراق. ومن بين الأرامل اللواتي شملتهن الدراسة، فقدت 65٪ منهنَّ أزواجهن في النزاع المسلح، في حين توفي 35٪ منهم بسبب المرض أو الحوادث. وغالبًا ما يتوجب على المرأة التي فقدت زوجها في ظروف عنيفة تضميد الجروح النفسية العميقة التي يخلفها هذا الحدث، لكنها تظل في كثير من الأحيان تدور في حلقة مفرغة من الحزن. وقد نجد بين هؤلاء امرأة شاهدت بأم عينها زوجها يُنحر كالخروف.

قالت **هبة** (30 عامًا)، التي قُطع رأس زوجها أمام منزلهما في العام 2006: «**لولا أولادي لدعوت الله في كل يوم أن يقبض روحي ويخلصني من هذه الحياة الشنيعة**». وأضافت: «**انطفأ نور قلبي بعد أن فقدت زوجي، وامتلأ فؤادي سوادًا**».

لا يستطيع بعض النساء تجاوز محنة فقدان الزوج، فالأوضاع الجديدة والصعبة التي أصبح عليهنَّ مواجهتها، إضافة إلى الشعور باليأس، أكثر مما يمكنهنّ تحمُّله. ومن جهة أخرى، تعاني كل النساء المعيلات من ضغوط هائلة، ويملأهن شعورٌ بالألم الشديد والغضب، والحزن العميق.

●●●

قالت **مروة** (42 عاما)، التي فقدت زوجها وابنها في انفجار سيارة مفخخة في **الرمادي** في العام 2007: «**أشعر بالرغبة في البكاء لأن الحزن يغمرني، ثمَّ أبكي حتى تنفد دموعي. بعدها أشعر بالتعب، ثم تستسلم عيناي للنوم بسهولة**».

الحياة المستقلة

على الرغم من أن التقاليد العراقية تفرض على المرأة التي فقدت زوجها العودة للإقامة في دار أبيها أو لدى عائلة زوجها، لا يفعل ذلك سوى ربع الأرامل اليوم. فمن بين النساء اللواتي شملهن الاستبيان، عاد 13٪ فقط منهن للعيش مع آبائهنّ، في حين بقي 13٪ مع عائلة الزوج. وأعرب كل هؤلاء النسوة عن الشعور بأنهن أصبحن يشكلن عبئًا، وعن أملهنَّ في حياة مستقلة.

تسببت النزاعات المسلحة العديدة التي مرَّ بها العراق في إنهاك المجتمع من الناحية الاقتصادية، لدرجة أنه لم يعد بمقدور الأقارب تحمُّل أعباء إضافية لمساعدة النساء اللواتي أجبرتهن الظروف على تحمُّل مسؤولية إعالة أسرهنّ. ووجد العديد من هؤلاء النسوة أن أقاربهنَّ، إن كانوا لا يزالون أحياء، يعانون من الفقر المدقع وليس لديهم ما يقدمونه لهنَّ.

وتعتبر المخاوف الأمنية من بين الأسباب التي تفرض على النساء البحث عن أماكن أخرى للعيش، بخلاف منازل الآباء أو أقرباء الزوج. ويكشف الاستبيان عن أن 43٪ من النساء اللواتي شملهن الاستطلاع نزحن بسبب النزاع، ومعظمهن هجرن الديار بعد فقدان الزوج. واضطر بعض هؤلاء النساء إلى الفرار مرتين أو ثلاثًا، ناهيك عن الصدمات النفسية التي تعرضن لها. وفي ما تكافح هؤلاء النسوة من أجل التكيُّف مع أوضاعهن الحياتية الجديدة، لم يتمكن بعضهن من التسجيل للحصول على راتب الإعانة الحكومي أو تسجيل أبنائهنَّ في المدارس. ونظرًا لحقيقة أنهنّ خسرن موارد المساعدة المألوفة من المعارف والأقارب، فإنَّ من بقي منهنَّ على مقربة من الأقارب تكيَّفن بشكل أفضل مع أوضاعهن الجديدة من الناحية النفسية.

وقالت **أمينة** (39 عامًا) من **فايدة** في شمال **نينوى**: «**بعد أيام فقط من قتل زوجي، تلقيت تهديدات، وأُجبرت على ترك منزلي في الموصل. وفي نهاية المطاف، انتقلت أنا وبناتي الثلاث إلى منزل شقيق زوجي. نحن نقيم الآن في هذه الغرفة، وهم يعاملوننا بلطف. لكنني أشعر بأننا نمثل عبئًا أضاف على عاتق شقيق زوجي أربعة أشخاص ليوفر لهم المأكل والمشرب. أنا لست مرتاحة، ولكن لا مكان آخر نلجأ إليه. ما أريده هو منزل خاص بي، وفرصة لكسب لقمة العيش بمفردي. لا أريد أن أعتمد على أقارب زوجي، فهم فقراء بالفعل**».

ويعيش أكثر من 70٪ من النساء اللواتي شملهن الاستبيان بشكل مستقل، على الرغم من قُرْب عائلات أزواجهنّ. ويمتلك حوالي ثلث هؤلاء النسوة المنازل التي يعشن فيها، في ما يعيش الثلث الباقي منهنّ في بيوت مستأجرة. ويعكس هذا الوضع التغيُّر الحاصل في دور النساء بالعراق، حيث لم يعد يُنظر إلى المرأة التي تعيش بمفردها مع أطفالها على أنها تمثل تهديدًا للقيم الاجتماعية.

وبالرغم من ذلك، فإنّ ما يقرب من نصف النساء المعيلات يعانين من شظف العيش، ولا يتوفر لديهن سوى مستلزمات الحياة الأساسية. وعادة ما يتبرع الأقارب والجيران لهنَّ ببعض الأدوات المنزلية. كذلك فإنَّ حوالي ثلث المساكن التي تقطنها هؤلاء النسوة تفتقر إلى الخصوصية أو الأثاث الضروري. ولجأ نحو 10٪ منهن إلى المكوث بصورة غير قانونية في مبان مهجورة، يعشن في خوف دائم من الطرد.

قالت **مريم**، (46 سنة)، وهي أرملة نازحة في **ديالى**: «**هذا المبنى كان**

مدرسة، وأصبح الآن مكانًا يقيم فيه النازحون إقامة مؤقتة. أنا أعيش في هذه الغرفة مع أطفالي السبعة منذ العام 2008، واستلمت حتى الآن إنذارين بالإخلاء، لكن لا مكان آخر نذهب إليه. باب الغرفة لا يُقفَل ولا يوجد زجاج بالنوافذ، لكن لحسن الحظ جيراننا طيبون. أنا لا أملك المال لإصلاح الباب ولا لتركيب نوافذ جديدة. وحتى لو كان لديَّ المال، لا أظن أنني سأصلحها، لأني لست أدري كم من الوقت سنبقى هنا».

الأطفال العاملون

الأرامل اللاتي أجريت معهنَّ مقابلات لديهن ستة أطفال في المتوسط. وفي حين تبقى البنات في المنزل للمساعدة في الأعمال المنزلية، يخرج الأولاد للعمل. وما ينذر بالخطر هو أنَّ عمل الأطفال أصبح الأكثر شيوعًا في الأسر التي تعيلها النساء. ففي ما يقرب من 40٪ من الأسر التي شملها الاستبيان، هناك صبي واحد على الأقل تحت سن الـ16 يخرج للعمل، عادة في الأسواق أو المزارع. ولا يحصل الطفل العامل سوى على ثلث أجر العامل البالغ.

إيمان جاسم من **ميسان**، أمّ لثمانية أطفال، اختفى زوجها قبل أربع سنوات. ترسل **إيمان** أولادها الثلاثة إلى السوق، فيدفعون عربات اليدّ على أمل أن يجدوا عملًا في توصيل الخضراوات. وحتى عندما كان زوجها لا يزال في المنزل، كان الجيران يقدِّمون المساعدات إلى الأسرة. أمَّا الآن، فقد توقف عنهم كل عون تقريبًا، باستثناء جارٍ واحدٍ يقدِّم إليهم الطعام مرة واحدة في الأسبوع.

قال **سجَّاد فاضل**، ابن **إيمان** البالغ من العمر 13عامًا: «**أساعد أسرتي بأن أعود حاملًا الطعام لوجبتيّ الغداء والعشاء. نعيش هنا جميعًا وليس لدينا الكثير. نعمل على عربة ندفعها بأيدينا، عمل شاق ومُجهد. كل ما أسعى إليه هو أن أذهب إلى المدرسة. أريد فقط أن أتعلم**».

الادِّخار على حساب الصحة والتعليم

عندما يكون المال شحيحًا، تميل المرأة إلى الادِّخار على حساب التعليم والرعاية الصحية، فحوالي 47٪ تقريبًا من الأطفال في الأسر التي تعيلها النساء لا يقصدون المدارس. وصرَّحت بعض الأمهات بأنهن لا يستطعن تحمُّل مصروفات الدراسة، مثل تكاليف المواصلات والكتب، في حين ذكرت أخريات أنهنَّ يحتجن إلى الإيرادات المتواضعة التي يجنيها أولادهنَّ لإطعام الأسرة.

وفي المناطق الريفية، يحول ضيق ذات اليد والأعراف السائدة دون تعلُّم الفتيات. ففي كثير من الأحيان، لا يسمح الأقارب الذكور للفتيات بالالتحاق بالمدرسة لأنهم يرون أنه لا يجوز لامرأة في سن الزواج أن تخرج بمفردها. وهذا يؤدي عادة إلى بقاء المراهقات داخل المنزل كي يتعلمن من أمهاتهنَّ الأعمال المنزلية.

وعلى الرغم من أنَّ تكاليف الرعاية الصحية في المستشفيات الحكومية معقولة، إلاَّ أنَّ الأدوية واستشارات الأطباء الاختصاصيين مكلفة للغاية. ويعاني 38٪ من النساء اللواتي شملهن الاستبيان من أمراض مزمنة، مثل ارتفاع ضغط الدم وداء السكري أو حصوات الكلى، وليس بمقدورهنَّ تحمُّل تكاليف العلاج المناسب. ولا تستطيع غالبية المعيلات تحمّل تكاليف المواصلات إلى المستشفى، حتى وإن كُنَّ على بُعْد ثلاثين دقيقة منها. وإذا خضعت المرأة لعملية جراحية كبرى، يتعين عليها الاعتماد على المعارف والأقارب لسداد المصروفات.

المرأة العاملة

العمل هو آلية التكيُّف الأكثر استخدامًا من قِبَل النساء المعيلات. ونصف النساء، اللواتي شملهن الاستبيان، كنَّ يعملن حينذاك، وبدأ معظمهنَّ العمل بعد وفاة الزوج أو اختفائه. ثلث هؤلاء النسوة أنشأن شركات صغيرة خاصة، وزادت مدخولاتهنَّ عن النساء الأخريات بنسبة 27٪، وهنَّ أكثر استقلالية وأقل احتمالًا لإرسال أطفالهن دون السن القانونية إلى العمل. لكن بعضهن يمارس أعمال الزراعة والخَبْز والخياطة والتنظيف.

وبشكل عام، تتقاضى المرأة في العراق أجرا أقل بكثير من نظرائها الذكور. وفي سوق العمل الذي أنهكته الحرب، تقول النساء إنه يصعب عليهنَّ إيجاد وظيفة ملائمة. ويسعى معظم النساء إلى إنشاء مشاريع تجارية صغيرة يمكن أن تدار من المنزل لتسمح لهنَّ برعاية أطفالهنَّ وتجنُّب الخروج بمفردهنّ.

فاطمة (32 عامًا)، لديها طفلان، ومات زوجها في تبادل لإطلاق النار في **بغداد** في العام 2007، تقول: «**كانت النساء في منطقتي يشكون من عدم شعورهن بالارتياح عندما يخرجن إلى السوق لشراء الملابس ومستلزمات المنزل. وفي العام الماضي، بدأت مشروعًا تجاريًا لبيع الملابس. أبيع ملابس للأطفال والنساء، وكذلك شراشف. ابني يساعدني في شراء البضائع من السوق الرئيسية، ثمَّ أبيعها ثانية من منزلي. أسعاري أعلى قليلا، لكن لديَّ زبائني. في البداية كنت أبيع للأقارب فقط، ولكن لديَّ زبائن من الحيّ الذي أسكن فيه الآن. تحضر النساء ويقسن الملابس، في ما نحتسي الشاي. والآن أحاول توسيع تجارتي ببيع الزهور**».

يختار بعض النساء العمل مع أخريات لديهنَّ ظروف مشابهة. قُتل زوج **أم فيصل** خلال أحداث العنف الطائفي في العام 2006، لذا قرَّرت البدء بمشروع مزرعة صغيرة بملحقاتها في **بغداد** بالتعاون مع أرملة أخرى. تقول **أم فيصل**: «**قلت لصديقتي: دعينا نضع أموالنا معًا ونشتري بقرة. سوف يكون ذلك مفيدًا لي ولكِ، وسيكون بمقدورنا إعالة أطفالنا** ●●●

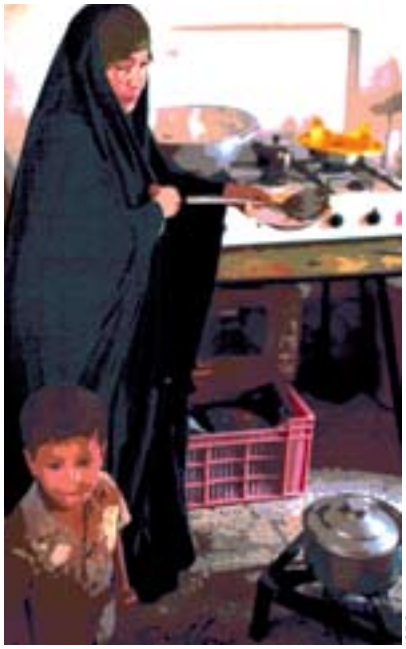

ICRC

47٪ من أطفال الأسر التي تعيلها نساء لا يذهبون إلى مدارس؛ فعندما يشح المال تميل المرأة إلى الادخار على حساب التعليم والصحة

ICRC

ICRC

اليتامى. لا تحصل أيٌّ منَّا على دعم أو رواتب من الحكومة. هذه الطريقة ستمكننا من مساعدة بعضنا البعض».

أثرت سنوات الحرب والعوز على تغيير نظرة الناس تجاه عمل المرأة ودورها في المجتمع، فقد أجبرتها القيود المالية على أن تصبح معيلًا مستقلًا، وهو الدور الذي أضحى أكثر قبولًا عن ذي قبل. وذكر أغلب النساء اللواتي أُجريت معهنَّ مقابلات أن عملهنَّ أصبح أمرًا مقبولًا.

الدعم الحكومي

بالرغم من تدهور نظام الرعاية الاجتماعية بشكل كبير منذ العام 2003، لا يزال العديد من الأشخاص الأكثر عوزًا في العراق يحصلون على رواتب الرعاية. وتقع مسؤولية مساعدة الأسر الأكثر عوزًا التي تعيلها النساء على عاتق مديرية رعاية المرأة، التي تأسست حديثًا في العام 2008، وترفع تقاريرها مباشرة إلى مكتب رئيس الوزراء. وتضطلع مديرية رعاية المرأة بأعمال المساعدة التي كانت تتولاها شبكة الحماية الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية.

يتراوح راتب الرعاية للعائلات بين 50 ألفًا و175 ألف دينار عراقي شهريًا، (أي ما يعادل 43إلى150 دولارًا أميركيًا)، وفقًا لعدد الأطفال. ولا يفي هذا المبلغ بجميع احتياجات الأسرة، لكنه يمكن أن يحدث فرقا بين الوقوع في هاوية الفقر المدقع أو القدرة على التعامل معها.

ويستهلك الحصول على الوثائق المطلوبة للتسجيل في برنامج راتب الرعاية وقتًا وجهدًا كبيرين للأسف، علاوة على تكاليف المواصلات. وليس بمقدور مديرية رعاية المرأة الاستجابة لطلبات كل المتقدمات بسبب شح الموارد وقلة الموظفين. كما تعاني المديرية من ضآلة الميزانية وأوجه قصور أخرى. ومنذ إنشائها، وجَّهت المديرية مواردها المحدودة لغرض تبسيط الإجراءات وتحسين عملية الصرف، بدلًا من زيادة عدد المستفيدات، وهو ما حال دون تسجيل كل النساء المستحقات لاستلام راتب الرعاية. وبموجب الإحصاءات الرسمية، تمَّ تسجيل 40٪ فقط من النساء المستحقات على مستوى العراق ككل. ووفقًا للمقابلات التي أجرتها اللجنة الدولية في إطار الاستبيان، الذي ركز بشكل خاص على النساء الأكثر احتياجًا، يستلم 19٪ فقط منهنَّ راتب الرعاية.

ويحق لمعظم المواطنين العراقيين، باستثناء الأثرياء، الحصول على حصص غذائية تموينية من خلال نظام التوزيع الحكومي. ويستلم كل الأسر التي تعيلها النساء تقريبًا حصصًا تموينية، وإن لم يكن بشكل منتظم. وصرحت النساء اللواتي شملهن الاستطلاع بأنهنَّ يحصلن على حصص غذائية مرة واحدة كل عشرة أسابيع كمعدل عام. وقد تأتي الحصص التي يستلمنها مخيبة للآمال أحيانًا، خاصة عندما لا تتضمن سوى الأرز والزيت، على سبيل المثال.

شبكة الدعم المنهكة

تُعَدُّ الأسر التي تعيلها النساء من بين الفئات الأكثر احتياجًا في البلاد. وتبذل المجتمعات المحلية جهودًا حثيثة لمساعدة هذه الأسر باستخدام مواردها المحدودة للغاية.

وللحصول على الدعم، تعتمد النساء المعيلات أساسًا على الأقارب، ويلي ذلك الجيران والمساجد. ولم يكن لدى حوالي 30٪ من النساء اللواتي قابلناهن مصدر ثابت للدخل على الإطلاق، فهنَّ لا يعملن ولا يتلقين مبالغ منتظمة من الأقارب أو غيرهم، وبالتالي يعتمدن على المساعدات غير المنظمة، كالزكاة، والهبات الغذائية، والهدايا المنزلية.

ويتلقى أكثر من 60٪ من النساء اللاتي جرت مقابلتهن طعامًا من المجتمع المحلي، ويسكن بعضهن بيوتا تبرع بها الجيران رأفة بحالهن. لذا، يعتمد هؤلاء النسوة اعتمادا كليًا على المساعدات الخيرية، وليس بمقدورهنَّ التحكم في انتظام أو مدَّة المساعدات التي يتلقينها.

لكن الوجه الإيجابي في الأمر هو أنَّ المصاعب تأتي بقدر كبير من الودِّ

والتضامن. وأعرب 89٪ من النساء في الاستبيان أنهن يتلقين دعمًا كبيرًا من مجتمعاتهن المحلية. ومن الواضح أن مثل هذه النظم الخيرية، الذي يجعل الأسر التي تعيلها النساء تعتمد على المعونات واستنزاف موارد المجتمع الشحيحة أصلًا، غير قابلة للاستمرار على المدى الطويل. وبالتالي، فقد أقرَّ قادة المجتمع الذين أُجريت معهم مقابلات بأنه ينبغي تقديم المساعدة للأسر التي تعيلها النساء، على سبيل الأولوية، وتشجيع هؤلاء النسوة على الاستقلال الاقتصادي للحدِّ من العبء الذي يثقلن به كاهل الآخرين، وهذا دليلٌ على أن المجتمعات المحلية أصبحت أكثر ميلًا لقبول اضطرار النساء أحيانًا للعمل، خاصة في ظل غياب المعيل التقليدي.

قال أحد رجال الدين من منطقة **الزعفرانية في بغداد: «يجوز للمرأة أن تعمل ما دام النشاط التجاري لا يسيء إليها. بل قد يتوجب عليها أن تعمل، إن كانت تعيش من دون زوج».**

وطُلب من النساء اللواتي أجريت لهنَّ مقابلات اختيار ثلاثة أنواع من الدعم الذي يعتبرنه مناسبًا على المدى الطويل، ثمَّ ترتيبها تنازليًا بحسب الأهمية: الراتب النقدي الحكومي، والمساعدات الغذائية، ودعم الأنشطة التجارية المدرَّة للدخل، وتأمين وظيفة أو التدريب المهني، ففضَّلت الأغلبية الساحقة منهن الحصول على مساعدات نقدية دائمة من الحكومة، وكان خيارهنّ الثاني هو البدء في نشاط تجاري مُدرّ للدخل.

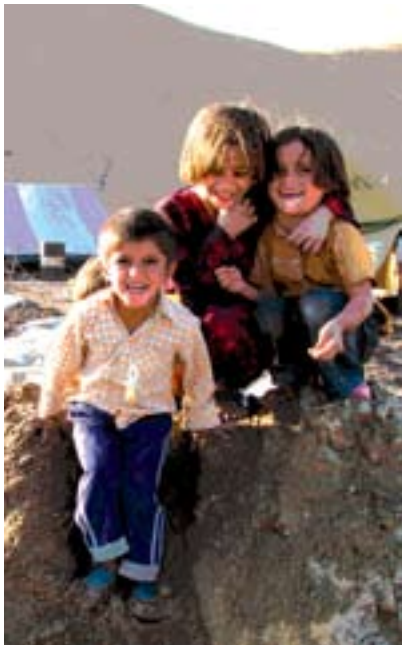
ICRC

المجتمعات المحلية أصبحت أكثر ميلا لقبول اضطرار النساء أحيانًا للعمل

أحلام النساء

أحلام المرأة العراقية هي نفسها أحلام النساء في كل مكان، فغاية طموحهنّ هي توفير مستقبل أفضل لأطفالهنّ. كذلك تحلم النساء اللاتي قابلناهن بأن يكون لكل واحدة منهنَّ منزل مستقل، وكأنهنّ يرغبن في زيادة التأكيد على ظروف الحياة الصعبة. قالت **زينب** (43 عامًا) من **خانقين: «أريد لولدي وظيفة جيدة في المستقبل كي يتمكن من مساعدتي، وأن تتزوج ابنتي من رجل مسلم صالح وغنيّ، يؤمِّن لها كل ما تحتاج في المستقبل».**

وعلى الرغم من المصاعب التي يواجهنها، لا ترغب هؤلاء النسوة في الزواج مرة أخرى. وصرَّحت 10٪ منهن فقط بأنهنَّ سيتزوجن إذا سنحت لهن الفرصة لذلك. وكان أكبر مخاوفهنّ هو أن يسيء الزوج الجديد معاملة أطفالهن من الزيجة الأولى. وعما إذا كنّ يفضّلن الزواج من رجل غنيّ أو الحصول على دعم لمدخولاتهن، فضَّلت 70٪ منهنَّ دعم الدخل على الزواج.

وفي الختام، فإنَّ المرأة الناجحة، من وجهة نظر النساء اللاتي تمّ مقابلتهنّ في هذا الاستبيان، هي الأمُّ التي يمكن أن تؤمِّن لأبنائها مستقبلًا مشرقًا، وهي المرأة المتعلمة التي تجني دخلها الخاص وتكسب عيشها بنفسها ■

كيف نحمي المدنيين من الآثار العرضية لهجوم إلكتروني؟

"الحرب السيبرانية" والقانون الدولي الإنساني

في كل أرجاء العالم، ينظر واضعو السياسات والقادة العسكريون في تداعيات الحرب السيبرانية (الإلكترونية). وفي هذا الحوار، تشرح كوردولا دروغيه المستشارة القانونية في اللجنة الدولية أن الإطار القانوني القائم واجب التطبيق ويجب احترامه حتى في الفضاء السيبراني.

■ ما الذي تعنيه عبارة "الحرب السيبرانية"؟ ولماذا تثير هذه العبارة قلق اللجنة الدولية؟

مفهوم **الحرب السيبرانية** غامض بعض الشيء، ويبدو أن مختلف الناس يعنون أمورًا مختلفة عندما يشيرون إليه. وتشير **الحرب السيبرانية** لأغراض هذا النقاش إلى أساليب الحرب ووسائلها التي تعتمد على تكنولوجيا المعلومات وتُستخدم في سياق نزاع مسلح ضمن المعنى الوارد في القانون الدولي الإنساني، بخلاف العمليات العسكرية الحركية التقليدية.

ولم يجرِ الاتفاق دوليًا بالمثل على معنى قانوني لعبارات مثل "الهجمات السيبرانية" أو "العمليات السيبرانية" أو "الهجمات على شبكات الحواسيب"، وتُستخدم هذه العبارات في سياقات مختلفة (ولا تقتصر دائمًا على النزاعات المسلحة) وبمعانٍ مختلفة. ودعوني أستخدم العبارة الأكثر شمولًا ألا وهي "العمليات السيبرانية" للإشارة إلى عمليات ضدّ أو بواسطة حاسوب أو نظام حاسوب من خلال تدفق البيانات. وقد تهدف هذه العمليات إلى القيام بأمور مختلفة، مثل التسلل إلى نظام حاسوب وجمع بيانات أو تصديرها أو إتلافها أو تغييرها أو تشفيرها، أو مثل إطلاق عمليات يسيطر عليها النظام المُتَسلل إليه أو تبديلها أو التلاعب بها. ويجوز استخدام التكنولوجيا في حرب ما، وفي بعض الظروف، يمكن اعتبار بعض هذه العمليات هجمات حسب التعريف الوارد في القانون الدولي الإنساني.

وقد تثير العمليات السيبرانية شواغل إنسانية، لا سيما عندما لا يقتصر أثرها على بيانات نظام الحاسوب أو الحاسوب المستهدف. وترمي في الواقع عادةً إلى إحداث أثر في "العالم الحقيقي". ويستطيع المرء من خلال التلاعب بنظم الحواسيب الداعمة على سبيل المثال أن يستخدم نظم العدو لمراقبة الحركة الجوية أو نظمه لتدفق خطوط أنابيب النفط أو محطاته النووية. ونتيجة لذلك، يكون الأثر الإنساني المحتمل لبعض العمليات السيبرانية هائلًا. ولا يبدو أن العمليات السيبرانية التي نُفذت إلى الآن، في إستونيا وجورجيا وإيران، تؤدي إلى عواقب خطيرة على السكان المدنيين. ولكن، يبدو أنه من الممكن تقنيًا التدخل في نظم مراقبة المطارات أو غيرها من شبكات النقل أو السدود أو محطات الطاقة النووية من خلال الفضاء السيبراني. ولا يمكن بالتالي صرف النظر عن سيناريوهات كارثية محتملة، من قبيل تصادم طائرات أو تسرب سموم من مصانع كيماوية أو تعطيل بنية تحتية أو خدمات حيوية مثل شبكات الكهرباء أو المياه. ومن الأرجح أن يكون أهم ضحايا هذه العمليات من المدنيين.

■ هل ينطبق القانون الدولي الإنساني على العمليات السيبرانية؟

لا ينطبق القانون الدولي الإنساني إلا إذا ارتكبت العمليات السيبرانية في سياق نزاع مسلح، سواء أكان بين دول أو بين دول وجماعات مسلحة منظمة أو بين جماعات مسلحة منظمة. وبالنتيجة، نحتاج إلى التمييز بين المسألة العامة للأمن السيبراني وبين المسألة الخاصة بالعمليات السيبرانية في النزاع المسلح. وقد تستحضر عبارات مثل "هجمات سيبرانية" أو

حتى "الإرهاب السيبراني" وسائل الحرب، غير أن العمليات التي تشير إليها لا تجري بالضرورة خلال نزاع مسلح. ويمكن استخدام، لا بل تُستخدم في الواقع، العمليات السيبرانية في جرائم تُرتكب في حالات يومية لا علاقة لها بحالات الحرب. وفي الواقع، نسبة كبيرة من العمليات المعروفة عمومًا بعبارة "هجمات سيبرانية" هي هجمات لاستغلال الشبكات تُنفذ لأغراض جمع معلومات غير مشروعة وتحصل خارج نطاق النزاعات المسلحة. غير أنه في حالات النزاعات المسلحة، ينطبق القانون الدولي الإنساني عندما تلجأ الأطراف إلى أساليب الحرب ووسائلها التي تعتمد على عمليات سيبرانية.

■ إذا كان القانون الدولي الإنساني ينطبق على عمليات سيبرانية، على ماذا ينص في هذا الشأن؟

لا يذكر القانون الدولي الإنساني العمليات السيبرانية على وجه خاص. ونظرًا لهذا الأمر، ولمّا كان استغلال التكنولوجيا السيبرانية أمرًا جديدًا نسبيًا ويبدو في بعض الأحيان كأنه يحدث تغييرًا نوعيًا كاملًا في أساليب الحرب ووسائلها، يُقال أحيانًا إن القانون الدولي الإنساني مُكيف على نحو سيئ مع الفضاء السيبراني ولا يمكن تطبيقه على الحرب السيبرانية. غير أن غياب إشارات محددة في القانون الدولي الإنساني إلى عمليات سيبرانية لا يعني عدم خضوع هذه العمليات لقواعد القانون الدولي الإنساني. وإذا كانت أساليب الحرب السيبرانية ووسائلها تحدث الآثار نفسها في العالم الحقيقي كآثار الأسلحة التقليدية (على غرار التسبب بدمار أو عطل أو ضرر أو إصابة أو وفاة)، تحكمها القواعد نفسها التي تحكم الأسلحة التقليدية.

ويجري دومًا تطوير تكنولوجيات جديدة من كل الأنواع، والقانون الدولي الإنساني شامل بما يكفي ليتسع لهذه التطورات. ويحظر القانون الدولي الإنساني استخدام بعض الأسلحة بصورة خاصة (مثل الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو الألغام المضادة للأفراد) أو يحد من استخدامها. غير أنه ينظم أيضًا، من خلال قواعده العامة، كلّ أساليب الحرب ووسائلها، بما فيها استخدام كلّ الأسلحة. ولا سيما أن المادة 36 من الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي لاتفاقيات جنيف تنص على ما يلي: «يلتزم أي طرف سام متعاقد، عند دراسة أو تطوير أو اقتناء سلاح جديد أو أداة للحرب أو اتباع أسلوب للحرب، بأن يتحقق مما إذا كان ذلك محظورًا في جميع الأحوال أو في بعضها بمقتضى هذا الملحق «البروتوكول» أو أية قاعدة أخرى من قواعد القانون الدولي التي يلتزم بها الطرف السامي المتعاقد». وفي ما يتعدى نطاق الالتزام المحدد الذي تفرضه هذه القاعدة على الدول الأطراف، تبين أن القواعد العامة للقانون الدولي الإنساني تنطبق على التكنولوجيا الجديدة.

وهذا لا يعني أنه قد لا توجد حاجة إلى زيادة تطوير القانون في حين تتطور التكنولوجيات، أو أن آثارها الإنسانية أصبحت مفهومة على نحو أفضل. ويجب أن تقرر الدول هذا الأمر في المستقبل. وفي غضون ذلك، من الضروري التشديد على أنه ما من فراغ قانوني في الفضاء السيبراني. وبعيدًا عن ذلك، نواجه عددًا من الأسئلة حول كيفية تطبيق القانون الدولي الإنساني عمليًا في المستقبل.

■ ما الأمر الكامن في الفضاء السيبراني الذي يجعل تطبيق القانون الدولي الإنساني صعبًا؟

ما زال الخبراء التقنيون الذين يضعون ويطبقون أساليب الحرب السيبرانية ووسائلها هم الوحيدون القادرون على فهم هذه الأساليب وهذه الوسائل فهمًا تامًا، على ما يبدو. ويُصنف تطور التكنولوجيات الجديدة باستمرار. بالإضافة إلى ذلك، من أجل تحديد ما إذا كانت أساليب الحرب السيبرانية ووسائلها تختلف نوعيًا عن تلك المتعلقة بالحرب التقليدية وإلى أي نطاق تختلف، يكمن أهم أمر في فهم كيف يمكن استخدام التكنولوجيا وما هي الآثار التي قد تحدثها في النزاعات المسلحة.

غير أن الاتصالات مجهولة الهوية تشكل جانبًا من جوانب الفضاء السيبراني التي تطرح صعوبات على ما يبدو. وفي العمليات السيبرانية ●●●

القانون الدولي الإنساني شامل بما يكفي لاستيعاب التطور في التكنولوجيات الجديدة

◆

أحمد اللبّاد

التي تحصل يوميًا، جهل الهوية قاعدة وليس استثناء. ويتبين أنه من المستحيل في بعض الحالات اقتفاء أثر المصدر. وبما أن كلّ القانون يقوم على توزيع المسؤوليات (في القانون الدولي الإنساني على طرف أو نزاع أو فرد)، تنشأ صعوبات كبيرة. وبصورة خاصة في حال تعذّر تحديد فاعل عملية معينة وبالتالي العلاقة بين العملية وأحد النزاعات المسلحة، من الصعب جدًا تحديد ما إذا كان القانون الدولي الإنساني واجب التطبيق على العملية.

ويشكل التوصيل بين نظم الحواسيب بالطبع سمة أخرى من سمات الفضاء السيبراني. ومن الممكن أن يصعّب التوصيل بين نظم الحواسيب –المدنية والعسكرية– مجرد تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني الأكثر أساسية.

■ ما هي القواعد واجبة التطبيق على العمليات السيبرانية؟ وكيف يمكن تطبيقها في عالم التوصيل بين نظم الحواسيب؟

من المحتمل أن تكون كلّ قواعد القانون الدولي الإنساني التي تحكم سير الأعمال العدائية واجبة التطبيق خلال النزاعات المسلحة، غير أن السؤال يبقى في ما إذا كانت ذات صلة بهذا السياق وكيف يمكن تطبيقها. وقبل إعطاء بعض الأمثلة، من المهم التذكير بأن أحد الأغراض الرئيسية للقانون الدولي الإنساني تكمن في حماية السكان المدنيين والبنية التحتية المدنية من آثار الأعمال العدائية.

ودعونا ننظر في بعض القواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني من أجل إظهار أهميتها بالنسبة إلى العمليات السيبرانية والأسئلة الصعبة التي يطرحها تطبيقها في الفضاء السيبراني. وتتعلق هذه الأسئلة بمبادئ التمييز والتناسب والاحتراس:

مبدأ التمييز وحظر الهجمات العشوائية وغير المتناسبة

يتطلب مبدأ التمييز أن تميز أطراف النزاعات دومًا بين المدنيين والمقاتلين، وبين الأهداف المدنية والأهداف العسكرية. وقد تكون الهجمات موجهة ضدّ المقاتلين أو الأهداف العسكرية فحسب. وتُحظر الهجمات العشوائية التي تُوجه أو لا يمكن توجيهها ضدّ هدف عسكري محدد أو لا يمكن الحد من آثارها، حسبما يقتضي القانون الدولي الإنساني. وتُحظر الهجمات ضدّ الأهداف العسكرية أو المقاتلين بالمثل إذا كان يُتوقع أن تتسبب في إصابات أو أضرار مدنية عرضية، الأمر الذي سيكون مفرطًا مقارنة بالمكاسب العسكرية المتوقعة الملموسة المباشرة (المعروفة بالهجمات غير المتناسبة).

وهذا يعني أن الأهداف المسموحة بموجب القانون الدولي الإنساني في تخطيط العمليات السيبرانية وتنفيذها هي فقط الأهداف العسكرية، من قبيل الحواسيب أو نظم الحواسيب المُستخدمة لدعم البنية التحتية العسكرية أو البنية التحتية المستخدمة على وجه خاص لأغراض عسكرية. ويعقب ذلك أن الهجمات عبر الفضاء السيبراني قد لا تكون موجهة ضدّ نظم الحواسيب المستخدمة في المرافق الطبية والمدارس وغيرها من المنشآت المدنية البحتة. وتكمن مسألة القلق الإنساني في هذا الصدد في أن الفضاء السيبراني يتميّز بالتوصيل بين نظم الحواسيب. ويتألف هذا الفضاء من عدد لا يُحصى من نظم الحواسيب المتصلة ببعضها البعض في أرجاء العالم. وغالبًا ما يبدو أن نظم الحواسيب العسكرية تتصل بالنظم التجارية والمدنية وتعتمد عليها كليًا أو جزئيًا. وبالتالي، قد يكون فعلًا من المستحيل شنّ هجوم سيبراني على بنية تحتية عسكرية وجعل الآثار تقتصر على هدف عسكري فحسب. وعلى سبيل المثال، من شأن استخدام دودة تتكاثر ولا يمكن السيطرة عليها وقد تتسبب بالتالي في أضرار كبيرة في بنية تحتية مدنية أن يشكل انتهاكًا للقانون الدولي الإنساني.

ما زال ينقصنا الكثير لفهم الآثار الناجمة عن الحرب السيبرانية

الالتزام باتخاذ الاحتياطات

يجب على الطرف المسؤول عن هجوم ما اتخاذ التدابير، إلى أقصى قدر ممكن، من أجل تفادي أو تخفيف الضرر العرضي الذي يلحق بالبنية التحتية المدنية أو يؤذي المدنيين. وهذا سيتطلب التحقق من طبيعة النظم التي تتعرض للهجوم والأضرار المحتملة التي قد تنجم عن إحدى الهجمات. وهذا يعني أيضًا أنه عندما يصبح جليًا أن هجومًا سيتسبب في إصابات أو أضرار مدنية عرضية، يجب إلغاؤه.

علاوة على ذلك، يجب على أطراف النزاعات أن تلتزم باتخاذ الاحتياطات اللازمة من آثار الهجمات. ونتيجة لذلك، تكون النصيحة الموجهة إلى هذه الأطراف هي تقييم ما إذا كانت نظم الحواسيب العسكرية منفصلة بما يكفي عن تلك المدنية، بغية حماية السكان المدنيين من آثار الهجمات العرضية. ويُمكن للاعتماد على نظم الحواسيب العسكرية والتوصيل بين نظم الحواسيب التي يديرها متعاقدون مدنيون وتُستخدم أيضًا لأغراض مدنية أن يثير القلق.

وعلى صعيد آخر، قد تساهم تكنولوجيا المعلومات أيضًا في الحد من الأضرار العرضية التي تلحق بالمدنيين أو البنية التحتية المدنية. وعلى سبيل المثال، قد يلحق تعطيل خدمات معينة تُستخدم لأغراض عسكرية ومدنية أضرارًا أقل مما يُلحق تدمير البنية التحتية تمامًا. وفي هذه الحالات، يفرض مبدأ الاحتياط القابل للجدل التزامًا على الدول باختيار الوسائل الأقل ضررًا بغية تحقيق أهدافها العسكرية.

■ ما الذي تقوم به اللجنة الدولية بالنسبة إلى الحرب السيبرانية؟

يجب ألا يغيب عن بالنا أنه ما زال ينقصنا الكثير لفهم الآثار العسكرية المحتملة والآثار الإنسانية الناجمة عن الحرب السيبرانية، رغم كل الأمور التي نطّلع عليها في وسائل الإعلام. ولكن العمليات السيبرانية قد تؤدي إلى عواقب وخيمة على المدنيين. ولهذا السبب، ترصد اللجنة الدولية تطورها وتذكر أطراف النزاع بالتزامها بالامتثال للقانون الدولي الإنساني. ونولي أيضًا اهتمامًا خاصًا بعدد من المبادرات الرامية إلى توضيح القانون واجب التطبيق على العمليات السيبرانية في النزاعات المسلحة. ويكمن هدفنا في إعادة التأكيد على انطباق القانون الدولي الإنساني، والحد من أي شكل من أشكال إضعاف القانون الدولي الإنساني بسبب استحداث معايير جديدة، وتذكير الضالعين في ذلك بأن الحاجة إلى تحييد السكان المدنيين في عالم التوصيل بين نظم الحواسيب باتت أكبر من أي وقت مضى ■

إيف جونزاليس- كيخانو*

هل كان بالإمكان أن يحدث تغيير في تونس ومصر بدون "تويتر" و"فيس بوك"؟ ولكن هل كانت شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وحدها هي السبب في حدوث التغيير؟ الجدل يشتد حول دور العالم الرقمي في إحداث تغييرات على الأرض

الجذور الرقمية للاحتجاجات العربية

REUTERS

منذ أحداث تونس، وما شهده **ميدان التحرير** في **القاهرة** بعدها من أحداث أشد قوة، أخذت وسائل الإعلام تحتفي بما تسميه "الثورة الرقمية" العربية. وبات الحديث إما عن ثورة الجيل الثاني من الويب: **2,0** أو "ثورة الفيس بوك". التعليقات تتغنى اليوم بقدرات التكنولوجيا الرقمية على تحقيق الحريات، وذلك بطريقة ساذجة تدفع للرد على هذه الخطب الملتهبة من خلال تناول هذا الموضوع بتحليل لا يخلو في بعض الأحيان من نبرة شديدة التشكك. بعيدا عن كون **الإنترنت** و**الفيس بوك** و**تويتر** ظاهرة انتشرت كالنار في الهشيم، وبعيدا عن كونها كلمات أصبحت اليوم رموزا مقدسة لقبيلة كاملة من معلقين باتوا، بين ليلة وضحاها، في حالة من الانبهار المفاجئ بفضائل الديمقراطية للشعوب العربية، السؤال المطروح هو: هل للاحتجاجات العربية الحالية جذور رقمية في الواقع ؟

شبكات المعلومات الرقمية

إلى وقت قريب، لم يكن العالم العربي يعرف هذه الدينامية التي تخلقها التكنولوجيا الرقمية، إلا أن اللافت للنظر أن هذه الانطلاقة أتت متأخرة لأسباب مختلفة. كانت هناك بالطبع أسباب سياسية، ولطالما أشرنا (وإن كان ذلك أكثر من اللازم) إلى الدور السلبي الذي قامت به أنظمة في المنطقة دون الأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الكثير منها – وبالأخص في تونس ومصر– أطلق مبادرات كبيرة لتشجيع التنمية في مجال الاقتصاديات الجديدة القائمة على المعرفة. ولكن كانت هناك أيضا عوائق على المستوى المالي، وأخرى كان أكثرها، بلا شك، على المستوى التقني، إلا أنها سرعان ما تلاشت في نهاية المطاف بفضل التقدم الذي حدث على مستوى التكيف وقابلية التطبيق، ناهيك عن انخفاض التكاليف. أما ما تبقى من أعباء تعليمية - بل و«ثقافية» – فلم يكن لها وزن حقا. على العكس من ذلك، ففي الوقت الذي انتشرت فيه الممارسات على شبكة بات استخدامها أكثر يسرا، شهدنا ثورة ●●●

* Yves Gonzalez Quijanoباحث
في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق

لـ«تعريب» الإنترنت صاحبها استخدام رموز لغوية مستوحاة من اللغات المنطوقة، لقيت رفضا اجتماعيا من حيث المبدأ، فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية في الكتابة.

كان الشباب وراء ذلك بشكل خاص إذ تعد وسائل الإعلام الجديدة مصدر جذب لهذه الفئة كما هي الحال في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، ولأن التحول الديموغرافي في هذه البلدان لم يتم إلا في الآونة الأخيرة فقط (65 ٪ من العرب تحت سن 25)، فإن التبعات الاجتماعية والسياسية للانتشار السريع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات له أثر كبير. وفي سياق محدد جدا من التاريخ الحديث الخاص بالمنطقة المتأثرة بوقوع تغيرات اجتماعية واقتصادية مهمة (التوسع الحضري، والتعليم، والخصخصة والعولمة، وحتى «الاستعمار الجديد»...) زادت من صعوبة التحولات الحتمية. أصبح العالم الرقمي شأنه شأن الديمقراطية مبعثا لتقويض التغيرات الاجتماعية الضرورية التي تواكب تعاقب الأجيال. إذا كانت الاحتجاجات في تونس ومصر قد أدت إلى النتيجة التي نعرفها، هل يرجع الفضل في ذلك فقط إلى القدرة الخارقة للشبكات الاجتماعية؟ على العكس، فاللافت للنظر في كلتا الحالتين، هو التداخل المتزايد بين الشبكات ووسائل الإعلام والبرمجيات والمعايير واللغات والاستخدامات في نهاية الأمر. وإذا كان هناك مثال لظاهرة غير متوقعة متمثلة في التقارب الرقمي، فهي ليست سوى جسور التواصل التي أنشأتها على عجل شركتا **جوجل** و**تويتر** للسماح للمصريين بتبادل الرسائل القصيرة من خلال الشبكات التقليدية للهواتف. ولكن هناك مثالا آخر يتميز بالقوة والفعالية في ما يتعلق بحشد المعلومات والقدرات (على الأقل في إطار السياق الجاري) وهو الروابط التي نسجتها قناة مثل **الجزيرة** بين مواردها التقليدية باعتبارها قناة إخبارية فضائية والتدفق الرقمي الجديد للشبكات الاجتماعية (لاسيما تسجيلات الفيديو التي يقوم بها الهواة والرسائل القصيرة). واستنادا لنموذج اعتمدته جميع أجهزة الإعلام «التقليدية» في نهاية المطاف تاركة وراءها حرصها على عدم الأخذ بالمعلومات المتأتية من مصادر غير مهنية، أظهرت سيطرة المحتجين على **ميدان التحرير** في **القاهرة**، وبصورة أكبر المواجهات التي وقعت في شوارع تونس، أن تدفق المعلومات بات من الآن فصاعدا يتم بسهولة ويسر من المستحيل وقفهما، مهما حاولت السلطات ذلك من خلال تشديد الرقابة المعتادة، بل ومهاجمة ممثلي الصحف التي تعتبرها معادية، وإغلاق نظم الاتصالات القومية بطريقة شبه كلية لم يكن من الممكن بأية حال من الأحوال التمادي فيها (قطع الإنترنت وشبكات المحمول في مصر حين كانت الاحتجاجات في ذروتها). لكن بالرغم من ذلك، وبغض النظر عن النمو الفعلي الشديد للشبكات الاجتماعية (فمن بين كل خمسة تونسيين يوجد واحد تقريبا لديه حساب على الفيس بوك الآن...)، يظل التليفزيون – وخاصة قناة **الجزيرة** ضمن المجال الرقمي الحالي – يحتل مكانته في قلب الشبكة الإعلامية، على الأقل بالنسبة للقاسم الأكبر من الأطراف الفاعلة القادرة على التعبئة لخلق توازن قوى في الميدان.

العواقب السياسية للتكنولوجيات الجديدة

خلال الأحداث التي اتخذت من الشارع في تونس ومصر مسرحا لها، برز أكثر من مؤشر ليدلل على الدور الذي لعبته تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بوجه عام والشبكات الاجتماعية بوجه خاص في تسلسل الأحداث. ومع ذلك، وحتى وإن بدت بعض التعبيرات الغنية عن البيان مثل «ثورة **الفيس بوك**» أو «**تويتر**»، إلا أنها على الأرجح تعبيرات «تعيسة» بل «مضللة». فالثورات لا تندلع على شاشات المحمول أيا ما كانت أحجامها، بل في الشارع، حيث يمكن قياس حجم

بات من المستحيل منذ الآن وقف تدفق المعلومات

AFP

المواجهات بين الأطراف المتصارعة على المستوى المادي. وفي الوقت نفسه، وبصورة أدق، لم تمنع ندرة المعلومات أو اختفاؤها تقريبا بدءا من شبكة الإنترنت من ارتفاع حدة الاحتجاجات التي أدت بالأخير إلى الإطاحة بالرئيسين التونسي والمصري. وهي حجة يمكن الرد عليها بالقول إن فتيل التعبئة أشعلته وسائل الإعلام الرقمية في البداية بشكل حاسم إلا أنه لا جدوى من القول بأن نيران التمرد العام قد اشتعلت بعدئذ.

وإذا استندنا إلى مثل هذه الحجة، فإننا لن نخرج عن النطاق السياسي بمعناه الضيق، فيما يمكننا أن نتخيل أن تبعات النشر على الشبكات الاجتماعية على مستوى التكنولوجيات الرقمية كانت مختلفة. علاوة على ذلك، إذا كانت الأحداث في تونس ومصر مفاجئة حتى بالنسبة للأطراف الفاعلة نفسها، أليس في ذلك علامة على عجز أدوات التصور والتحليل التقليدية عن مساعدتنا على فهم العلامات الخاصة بثقافة الاحتجاجات الرقمية الجديدة؟ فمن أجل تدبر العواقب السياسية للاتصالات الرقمية المكثفة وبصورة عامة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بطريقة أفضل، قد يكون من الواجب عدم وضعها في دائرة الضوء واعتبارها على العكس عنصرا من العناصر الأخرى المسببة لاندلاع الأحداث الأخيرة في تونس ومصر. وبدلا من اعتبارها الصيغة الملائمة لجميع الحالات والقادرة على فتح أبواب الانقلابات الحالية، ينبغي النظر إلى طفرة الإنترنت وتطبيقاتها المختلفة على أنها مجرد ترس في ماكينة لديها تروس أخرى مثل التعليم والتوسع الحضري السريع لسكان معظمهم من صغار السن، وأيضا الانتشار السريع للمرجعيات الثقافية الأجنبية.

بالرغم من أن الشبكات الاجتماعية شهدت نموا كبيرا في المجتمعات العربية إلا أنها ليست قادرة – على الأقل حتى يومنا هذا– على الدخول في منافسة مع وسائط الإعلام التقليدية مثل التليفزيون. ولكنها تتداخل بشكل متزايد معها سواء على مستوى المضمون أو على مستوى تدفقه والتحكم فيه. والأكثر أهمية الآن هو التبعات الاجتماعية والسياسية للاستخدام واسع النطاق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات على مستوى الطبقات الشابة في البلدان العربية، حتى وإن كنا نرى، إلى الآن، أن تلك التبعات لن تأتي إلا على المدى المتوسط، ولكن الأحداث الجارية تشير إلى أنها لم تعد بعيدة. فهذه التكنولوجيات تشجع في الواقع – لاسيما في ما يتعلق بالعلاقة بالآخر، وبالسلطات السياسية والدينية، وعلى مستوى العائلة والتصرفات والتصورات – على القيام بممارسات مستقلة وفردية تجعل المحافظة على الأشكال القديمة للشرعية ضربا من ضروب المستحيل أو شبه المستحيل.

الثورات العربية الحالية هي من صنع «جيل الإنترنت» الذي يرى أن الانتقال إلى السياسة لا يمر إلا من بوابة التقنيات الرقمية. ومن المفارقات أن محاولة فهم الدور الذي ستقوم به التكنولوجيا الجديدة في المستقبل في العالم العربي، بما في ذلك على المستوى السياسي، قد تدفعنا إلى النظر إلى الماضي، إلى حقبة اتسمت أيضا باضطرابات كبيرة من حيث استخدام وسائل الاتصال، وهي القرن الثامن عشر في أوروبا الذي شهد ظهور الطباعة. إن مقارنة «أبناء العالم الرقمي» في الوطن العربي بهؤلاء الذين رسموا خطوط النهاية للنظام القديم في فرنسا لإرساء الأسس الأولى للديمقراطية الحديثة ليست سُبة. وإذا اقتبسنا ما قاله المؤرخ الفرنسي **روجيه شارتييه** في كتابه: **الأصول الثقافية للثورة الفرنسية** أن «**الطباعة لعبت دورا في تغيير المعتقدات والمشاعر مما جعل من الممكن تدمير النظام الاجتماعي والسياسي القديم بشكل سريع وكامل**»، يمكننا إذًا في أعقاب التجربتين التونسية والمصرية، الحديث عن الأصول الثقافية الرقمية التي قد تشكل بداية للثورة العربية ■

الشبكات الاجتماعية غير قادرة -إلى الآن- على منافسة الإعلام التقليدي

REUTERS

فردوس العبادي*

بورتريه للوطن في الغربة

مبدعون عراقيون مهاجرون :

في أيامنا البعيدة لم نكن نظن أن المدن الغريبة ستكون ملاذًا لحزننا المتأصل حتى في الأغنيات. شتات لا جامع له سوى غربة الأمكنة والوجوه وهَمّ من لا يزالون هناك، لم يبرحوا أمكنتهم في وطن قريب من القلب، لكنه بعيد مثل سراب يتبعه التائهون عبثًا.

لوحة: ستار كاووش

أن تذهب إلى غربتك طائعًا مختارًا أو مرغمًا، الأمر سيّان.

وفي الغربة إبداع أيضًا. أن تبدأ حياتك في مكان آخر جديد. تعيش وتكتب وترسم وتفكر وتسعى إلى صداقات جديدة وتدخل عوالم غير تلك التي اعتدت عليها في وطنك الأم. ألا يعد كل هذا وغيره إبداعًا؟

ابتداع حياة أخرى أو إبداع فيها. الأمر ليس سهلًا، وخاصة لمثلنا نحن الملتصقين بأوطانهم التصاق الاسم بحامله. لا انفصام بين الاثنين حتى ولو بالموت.

هل الكتابة تختلف وأنت تعيش في وطن غير وطنك؟ وهل القصيدة لا تزهو إلا في موطنها وعلى منبر ألفته زمنًا بكامله؟ وهل اللوحة تأبى ألوانها أن تفترش «الكنفاس» في بلد غريب؟ طالما سألتني هذه الأسئلة، لكني في غالب الأحيان أجيب: نعم، ولم لا، ولكن!

وتقف هذه الـ " لكن" حاجزًا بيني وإجابتي. عالم من ذكريات أمكنة ووجوه تركناها خلفنا، لنبدأ من جديد. أية قسوة سترافقنا إلى نهاياتنا التي لم نكن نخطط أن تكون كهذه مع أول بزوغ لشمس أحلامنا في صبانا.

لكن ما تركناه وراءنا من الوجوه والأمكنة والتفاصيل هو الزاد. لا مجد ولا "فتوحات" لنا في بلاد اختارتنا على مضض أو هربنا إليها طمعًا في هدأة بال، أو هكذا تصورنا. لذا لا بد من ذلك الزاد. لابد من العودة إليه ليس بين حين وحين، بل في كل الأحيان لأنك لا تملك سواه.

إبداع مهاجر إلى اغترابه: قصة وشعر ولوحة وموسيقى. وإبداع يحاول الخروج من غربة فرضت عليه في وطنه.

كثيرون من الكُتّاب والشعراء والقاصّين والرسامين، من الذين اخترتهم لأتحدث معهم حول الإبداع المهاجر، بينهم من نأى بنفسه عن الإجابة إذ ربما لا يملك ما يقول أو لا يريد أن يقول شيئًا، ومنهم من أجابني بقصيدة أو لوحة، وبعضهم مازال يسكن في الذكريات والوجوه والأمكنة البعيدة لا يريد الخروج منها ولو من أجلي!

هم مهاجرون تلقفتهم بلاد الشتات.. لكن قلوبهم لا تزال معلقة على أسوار وطن بعيد، لا يعرفون إلا الكتابة له أو عنه، أو يرسمون ملامحه حتى على وجوه المارة في المدن الغريبة التي صاروا جزءًا من حياتها وتفاصيلها. جمعني وإياهم عالم افتراضي هو **فيسبوك** نتحاور ونلتقي فيه كل يوم. نتعرف فيه على أخبار بعضنا البعض، ونسترجع على صفحاته وطنًا وذكريات ووجوها وأمكنة!

* موظفة في بعثة اللجنة الدولية، بغداد

انتصار التقنية على الجغرافيا والتاريخ

الشاعر **فاروق سلوم**، الذي يعيش الآن في السويد، كتبت له السؤال وأرسلته إليه عبر بريده في عالمنا الافتراضي: كيف هي الكتابة في الوطن البديل؟

قال:

«هو وطن وأسلاف وذاكرة.

يوم كان المكان يحتوي الكتابة، لم يكن هناك زمن لايقيني للوجود الذاتي لحظة الكتابة. كان كل شيء حتميا. وحتى الفانتازيا كانت نوعا من إعادة تخليق المكان والعاطفة والوقت. موتى الكتابة الذين يقبعون في التراب هم فقط هدايا المنفى والغربات. ثمة أشباح لنصوص كتبت هناك تختفي خلف أسلاف وقبائل مموهين بالمحو أو التلاشي برغم تلك الذاكرة. وتقنيات القرن المعلوماتي تحوّل الأوطان إلى جغرافيا مموهة وافتراضية بعد انتصار التقنية على الجغرافيا والتاريخ. الكتابة هي تجسيد للمرئي واللامرئي. الذاكرة والحواس تضيف قشعريرة خاصة للتوق إلى مكان ورائحة ووجوه تؤثث وطنا غائبا. والنص وحده يشتغل على منظومة وطن : ناس ووجوه، مكان وحدوس، رغبات وجنون، واقع ووجع، يأس ولامعنى. بهذه الطريقة يولد النص خارج الوطن. ثمة عاطفة مضادة تحكم المشاعر للحظات، مثل لعنة «رافدينية» تختصر جنون الكتابة. لحظة انعتاق من كل تلك الشبكة الهائلة من الروابط والإحالات والرموز، شبكة هائلة من مكونات الحب. والحب هو نص الماضي والحاضر والمستقبل. الكتابة خارج الوطن اجتراح لمعجزة نص صعب وبعيد وبارد. نص نخرجه من ثلاجة اليوميات الغريبة، وسط السحنات واللغات والرطانة والتنظيم ليشتق حضوره بوجع واحتدام مع كل مكونات الثقافة الذاتية والهوية. وحتى الحواس فهي في حواس مغرّبة تنقصها الحرارة المتفجرة، تلك التي كانت تستيقظ فيها الحواس تحت درجة 50 فهرنهايت، تحت شمس الرب، بينما يتوهج القلب تحت شمس خاصة تشرق من زمن الأسلاف السومريين على مخبز الطين وقرص الخبز الذي يشبه الحب.. فقط».

غارق في الحنين

..وفعلت الأمر نفسه مع **صفاء صنكور**، وهو ناقد ومثقف عراقي يعيش الآن في بريطانيا، يقول:

«أنا لا أنتمي إلى مهجر ولا كتابة ولا أدب، بل مجرد رجل يغرق في النوستالجيا، ويبحث عن مكان آمن يموت فيه بسكينة، بعد خراب المكان الذي يعشق. وكأن نبوءة كافافي التي أحببناها يوما ما كقصيدة تلاحقنا أنى حللنا «إذا كنت قد خربت تلك البقعة الصغيرة. فحياتك خراب أينما حللت».

لم أعد قادرا على الكتابة منذ اللحظة التي أجبرت فيها على مغادرة المكان الذي أحب لأحمل صليب حنيني على ظهري، وأتنقل في بقاع الأرض مثل هولندي طائر لا ميناء يؤويه، ولا أرض تعجبه غير أرض حلم خلفه وراءه في ماض قاس ومرعب، ولاشيء سواه.

وكأن قدرنا أن نكون مثل سيزيف آخر، صخرته هي تعليم حواسه من جديد، في كل مكان تحل فيه،كيف تحس الهواء وترى الضوء وتتشرب النسمة أو تسمع النغم الجديد، وهي مثقلة بكل ما تحمله من وله وعشق ومعرفة بكل نغمة سمعتها، وبكل شهقة ضوء تشربتها، بل وبكل درجة ظل تفيأت فيها وبكل نسمة حملتها منتشية كريشة.

لذا، لا جدوى من «جثة لذيذة»، وروح تقبع خائفة، ساكنة، مرعوبة في ماض زادها فيه مجرد حلم وبراءة مفتقدة وحنين».

الرسم في أرض لا أحد

وفي هولندا يعيش الرسام **ستار كاووش**، الذي زاملته سنوات في إحدى الصحف العراقية الكبيرة، وحينذاك كانت تخطيطاته تقترن بما تزخر به الصفحات الثقافية. بينما تتسلق لوحاته جدران معارض كانت قاعات **بغداد** في ذلك الوقت تفتح أبوابها لها على الدوام. سألته: «وجوهك» هل ما زالت تحمل الملامح نفسها وأنت تفترش غربتك وألوانك ؟

فكتب لي قائلًا:

«كيف لي أن أصف خروجي من العراق، خرجت وأنا أتقطع ألما، تركت ورائي أمي وأصدقائي ولوحاتي وكتبي وكل ذكرياتي. حتى لغتي الأم حُرمت من التحدث بها. وعلي أن أتعلم لغة البلد الجديد الذي أعيش فيه.

خرجت في البداية إلى الأردن، ومعي خمسة دنانير (أردنية) فقط كان قد أعطاها لي صديقي القاص عبد الستار ناصر قبل سفري وهي لا تكفي للمبيت ليلة واحدة في فندق!! كانت لدي أحلام كبيرة، وكنت أتعامل ببساطة ورومانسية مع الأشياء.

ثم بعد سنوات من ذلك سافرت إلى هولندا، وأنا لا أملك أي شيء على الإطلاق، سوى موهبتي وملابسي التي أرتديها فقط، استلفت بعض النقود، وأقمت معرضي الأول في مدينة روتردام ولم أبع لوحة واحدة. ومن حسن الحظ، كان هناك صحفي حضر المعرض، وكتب مقالًا صغيرًا في جريدة روتردام المحلية. وبسببه، حصلت على فرصة أخرى في قاعة صغيرة. المسألة لا تعتمد على موهبتك فقط، بل على مهاراتك الشخصية وحضورك المؤثر، وبعض الحظ بالتأكيد، والصعوبة هي كيف تجد فرصتك بين هذا العدد الهائل من الرسامين الهولنديين، ثم إن أصحاب قاعات الرسم ومسؤولي المتاحف في هولندا لا يلتفتون إلى مجرد رسام جيد، فهم لديهم الكثير منهم، بل يبحثون عن رسام متفرد لديه منطقته الخاصة التي يعمل عليها ولا يشبه الآخرين.

وهناك صعوبات أخرى تتعلق بحالتك النفسية ووضعك القانوني في البلد الجديد، ففي أول ثلاث سنوات قضيتها في هولندا لم أكن أملك أوراقا رسمية أو جواز سفر، في ذلك الوقت كنت أرسم فقط، حاولت أن أنسى كل شيء ماعدا الرسم الذي كان يمثل لي وطنًا افتراضيًا. رسمت حينها الكثير من اللوحات، ولوحة «وداع الصيف» واحدة من تلك اللوحات، رسمتها وأنا أشعر ببرد شديد يحيط بي من كل جانب. من أنا؟ كنت أسأل نفسي، أين هي بلادي؟ أهي هنا في هولندا حيث أعيش الآن، أم في العراق؟

العراق هو وطني الأم لكني أشعر بأن هولندا هي بلدي أيضا، ببساطة لأنها أعطتني الحب والحرية والأمان. والصيف في هذه اللوحة هو بغداد، المدينة التي ولدت فيها وتكونت شخصيتي كإنسان وفنان، وفي الوقت الذي أتذكر فيه الصيف هناك أفكر في هولندا التي أحبها كثيرا مثلما أحببت امرأة هولندية رائعة، حيث تبقى المرأة بالنسبة لي رمزًا باذخا للجمال والأرض والوطن.

هذه اللوحة عرضتها في معرضي «الرسم في أرض لا أحد» في مدينة إنكهاوزن الهولندية، وعنوان المعرض أيضا يقول الكثير" ■

فاروق سلوم

صفاء صنكور

ستار كاووش

حكاية صبحي الممزق بين وطنين

معوض رشيد*

الرسم: حسين جمعان**

ليس في هذه القصة شيء من الخيال. أقصها كما وقعت، وفي الأماكن التي حدثت فيها.

محمود رائد في القوات المسلحة السودانية، انتقل إلى مناطق العمليات في جنوب السودان خلال ذروة المعارك بين الحكومة السودانية والجيش الشعبي لتحرير السودان، في نهايات القرن الماضي. وفي اشتباك بين الجيشين تعرضت قرية جنوبية لحريق هائل أتى على كل شيء. وخلال عملية تمشيط للبحث عن ناجين عثر **محمود** على طفل، يدعى **أمبيلي**، لم يتجاوز السابعة من العمر يبكي لفقد والديه وإخوته. ولأن **محمود** ترك أسرته في إحدى ضواحي **الخرطوم**، وله ابن في نفس عمر ذلك الطفل، فقد تحركت كوامن الأبوّة فيه، واحتضن الطفل، وبدأ يهدئ من روعه، ويطمئنه، ثم أخذه معه إلى ثكنات الجيش لحمايته. وظل الطفل بصحبة الرائد **محمود** في خيمته إلى أن انتهت مهمة المجموعة، وتقرر إعادة الفصيل إلى **الخرطوم**. هنا قرر الرائد **محمود** أن يصطحب **أمبيلي** لينشأ بين أبنائه.

فرحت أسرة الرائد **محمود** بعودته، إلا أن الفرح الأكبر، كان من الجدة **حسنة**، التي شعرت بعاطفة لا تحدها حدود تجاه الطفل اليتيم بعد أن سمعت بقصته من ابنها.

في تلك الأيام كان فريق **الهلال** السوداني لكرة القدم في أوجه، واستطاع أن يهزم فريق **الزمالك** المصري بهدف أحرزه مهاجم يدعى **صبحي**. وهنا، وبكل براءة الأطفال، طلب **أمبيلي** أن يغير اسمه إلى **صبحي**، تيمنا بذلك اللاعب الكبير. ومن وقتها بدأ رفاقه ينادونه باسمه الجديد.

نمى إلى علم الرائد **محمود** أن هنالك معهدا في **الخرطوم** يديره شخص من جنوب السودان يساعد أمثال **أمبيلي**، فاتصل **به**، فرحّب بالطفل، ووعد بتقديم كل ما يمكنه من أجل تأهيله مهنيا، بعد أن تربى وسط أزيز المدافع في الجنوب. وللوهلة الأولى أظهر **صبحي** قدرات كبيرة على الاستيعاب حتى أنه، وخلال فترة قياسية، تمّكن من الإلمام بمبادئ القراءة والكتابة. توفيت الجدة

حسنة التي كانت تمثّل المثل الأعلى للطفل، ثم ما لبث الرائد **محمود** أن أحيل إلى التقاعد، وهنا قرر **صبحي** أن يترك الدراسة، ويعمل ليساهم في تربية أبناء الرائد **محمود** السبعة. بدأ عامل بناء، وأجاد عمله، حتى صار المقاولون يسندون إليه بعض مقاولاتهم، وبذلك تمكّن من رد الجميل، وساهم في تربية أبناء الضابط الذي رعاه في صغره، وأنقذه من جحيم نيران الحرب الأهلية في الجنوب.

تعددت صداقات **أمبيلي** في الخرطوم وكان من بين أصدقائه تاجر يتنقل بين **ملكال** في جنوب السودان و**الخرطوم**. وفي إحدى الرحلات تطرق إلى موضوع **أمبيلي** في جلسة مع نظرائه التجار في الجنوب، ففوجئ بأن أحدهم يعرف أسرته، ويمت لهم بصلة قرابة. وأخبر هذا الرجل التاجر بأن شقيقات **أمبيلي**، وبعض أقاربه نجوا من تلك المعركة ويقيمون في **ملكال**، فاتصل التاجر **بأمبيلي**، وأخبره بما حدث، وزار أسرة **أمبيلي** التي كانت قد اعتبرته ميتا منذ الحريق.

هكذا أصبح **أمبيلي** ممزقا بين بقائه مع الرجل الذي رباه، الرائد **محمود**، وبين الالتحاق بأسرته الأصلية في **ملكال**. تمسّكت أسرة الرائد **محمود بأمبيلي** ونصحته بالذهاب إلى **ملكال**، وإحضار بقية أفراد أسرته للعيش في **الخرطوم**، فاستحسن الفكرة، وسافر ووقف بنفسه على أحوال أسرته وشقيقاته. وبعد أن تداولوا الأمر بينهم قرروا الحضور للعاصمة للعيش معه.

في **الخرطوم** سكنوا في منطقة تقطنها أغلبية من أبناء الجنوب، ومارسوا بعض الأنشطة التجارية ليواجهوا أعباء المعيشة في العاصمة. ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فقد جاءت نتيجة الاستفتاء على تقرير مصير جنوب السودان بتغليب خيار الانفصال على الوحدة، وأصبح الجنوب دولة مستقلة عن الشمال.

صوّت **أمبيلي** وأسرته لصالح استمرار الوحدة بين الشمال والجنوب، وكان شعلة نشاط في محاولة توفير وسائل النقل لأصدقائه المؤمنين بالوحدة للإدلاء بأصواتهم، على أمل أن تكون الوحدة هي الخيار.

وضعت نتيجة الاستفتاء **أمبيلي** وأسرته أمام خيارين أحلاهما مر، فإما الرحيل جنوبا، أو البقاء في الشمال كأجنبي.

أمثال **أمبيلي** بالآلاف في الشمال، وهو نموذج واحد لمعاناة بشر لا ذنب لهم في ما يحدث في دهاليز السياسة.

* مدير التحرير التنفيذي لـ «سودان فيزيون»
** رسام سوداني

شعر

لينا الطيبي*

للوردة برنامجها

في الصباح تفتح أوراقها على قطرات الندى
تشرئب بشذى يكور المكان.
في الظهيرة تتنازل عن بعض نداها
وفي المساء تنام ألوانها.
عند الصبيحة الثانية
باستطاعتها أيضًا أن تنادي من حولها
وعند الثالثة
تنام لفترات أطول
وتصحو إذ ترتعش بالأمطار..
في الرابعة
تخضع لثقل مياهها..
في اليوم الخامس
تصبح هي نفسها ثقلا على المكان
وتتكور في وحدتها
مهدية نومها إلى أبد ندي؛
متكئة على حافة إنائها..
يدي أيضًا
تتكئ في يومها الأخير على البياض
غامرة جسدي بانقباضات بلا ندى
منتشلة- بصعوبة-
كتفي عن حافته
غارقة في ظلال أفكاري..

يدي أيضًا تنام لفترات أطول

غربة

أشيد في المكان الغريب
منازل لتحتمي ظلالي في ظلالي،
أفتح تقويم الأيام وأرمي يومًا وراء يوم
باحثة عن وحي لانسكابي..
أبحث في الخفاء
عن يد
روح تطلق الصرخة
وتبلل اليابسة من ترابها

* شاعرة سورية

القاهرة:

تدريب متطوعي الهلال الأحمر المصري

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتعاون مع الهلال الأحمر المصري في تموز/يوليو الماضي دورتين تدريبيتين للتعريف بالحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر، شارك فيهما نحو خمسين متطوعا من القاهرة ومحافظات أخرى. وتأتي الدورتان في إطار التعاون الوثيق مع الهلال الأحمر المصري، ودعما له على تعزيز معرفة متطوعيه بالمبادئ الأساسية للحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر.

سلطت المحاضرات الضوء على تاريخ الحركة الدولية للصليب الأحمر والمبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني وأنشطة الحركة الدولية في مصر والعالم. وأبدى المشاركون اهتماما كبيرا بالمواضيع المطروحة، لاسيما استقلال جمعية الهلال الأحمر وكيفية تأمين المتطوعين أثناء عملهم في الميدان، ما حرك النقاش وأغناه.

كما شكلت الدورتان محاضرة عن العناصر الواجب توافرها في الجمعية الوطنية لتحقيق الوصول الآمن للمستفيدين أثناء النزاعات المسلحة، وكذلك محاضرات عن أنشطة التقصي، وإعادة الروابط العائلية تخللها العديد من الأسئلة والمناقشات التفاعلية من قبل المشاركين. وفي ختام الدورتين تم توزيع الشهادات التقديرية على المشاركين.

شارك في إلقاء المحاضرات المسؤول الإعلامي باللجنة الدولية بالقاهرة **محمد سلطان** ومندوب التعاون باللجنة **أسامة عبد الرزاق** ومسؤولة برنامج إعادة الروابط العائلية **بهيجة الجوهري**. ومن جمعية الهلال الأحمر المصري شارك مدير قسم التدريب والمتابعة **محمد محيي** ومسؤول شؤون الإغاثة **محمد عبد الله** ومسؤول العلاقات الدولية والتقصي **أحمد شكري**.

دمشق:

رئيس اللجنة الدولية يزور سوريا

REUTERS

زار رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر **جاكوب كيلينبرغر** سوريا، في الخامس من أيلول/ سبتمبر الماضي، حيث أجرى محادثات مع الرئيس السوري **بشار الأسد**، في حين بدأ مندوبو اللجنة الدولية زيارة سجن **دمشق** المركزي في ضاحية **عدرا**.

وقال **كيلينبرغر**: «**منحت السلطات السورية اللجنة الدولية الإذن بزيارة مكان احتجاز للمرة الأولى. وسوف نتمكن من زيارة الأشخاص المحتجزين من قبل وزارة الداخلية، ونأمل في أن نتمكن قريبًا من زيارة جميع المحتجزين. ونرى في ذلك خطوة مهمة إلى الأمام بالنسبة إلى أنشطتنا الإنسانية في سوريا**».

وتركزت المحادثات على العلاقات بين الحكومة السورية واللجنة الدولية. ورحب **كيلينبرغر** بالتقدم الذي أُحرز بالنسبة إلى إمكانيات الوصول إلى المناطق المتأثرة بأحداث العنف الدائر. وشدد على أحد أهم اهتماماته الحالية، وهو ضمان حصول الجرحى والمرضى على الرعاية الطبية اللازمة.

وتناول النقاش أيضًا القواعد التي تحكم استخدام القوة من جانب قوات الأمن في ظل الأوضاع الراهنة وواجب احترام الحاجات الجسدية والنفسية للمحتجزين والحفاظ على كرامتهم. ونوقشت القضايا نفسها خلال اجتماعات **كيلينبرغر** مع مسؤولين كبار آخرين، ولاسيما وزير الخارجية والمغتربين **وليد المعلم**.

وتزور اللجنة الدولية المعتقلين في أماكن الاحتجاز من أجل تقييم ظروف احتجازهم والمعاملة التي يلقونها. وتقدم استنتاجاتها بشكل سري إلى السلطات المعنية. وتهدف هذه الزيارات، التي تجرى وفقًا للإجراءات التي تتبعها عادة اللجنة الدولية في عملها، إلى التأكد من أن المحتجزين يعاملون معاملة إنسانية، وأن كرامتهم تبقى محترمة ومصانة.

وأتيحت للجنة الدولية خلال الزيارة الأخيرة لرئيسها في حزيران/يونيو إمكانية الوصول إلى جميع مناطق الاضطرابات. ومنذ ذلك الحين، تمكنت، بالتعاون الوثيق مع الهلال الأحمر العربي السوري، من إجراء تقييم سريع للوضع الإنساني في العديد من الأماكن التي تشهد اضطرابات مثل **حماة**، و**إدلب**، و**حمص**، و**اللاذقية**، و**دير الزور**، و**درعا**. وإضافة إلى ذلك، قدم العاملون مع اللجنة الدولية والهلال الأحمر العربي السوري الإمدادات إلى مرافق الرعاية الصحية العامة والخاصة، ومجموعات من المواد الغذائية ومستلزمات النظافة إلى آلاف العائلات المتضررة من الاضطرابات الحالية.

وناشدت اللجنة الدولية، في مناسبات عدة، السلطات وكل الأطراف الأخرى المشاركة في الاضطرابات أن تحترم في كل الأوقات الموظفين والمتطوعين العاملين في المجال الإنساني، ومقدمي الإسعافات الأولية ومرافق الرعاية الصحية. وقال رئيس اللجنة الدولية : «**أكدت بإصرار على وجوب السماح لمتطوعي الهلال الأحمر العربي السوري ولأفراد الطواقم الطبية بمتابعة عملهم الرامي إلى إنقاذ الأرواح بشكل آمن**».

مادیرا:

جائزة للجنة الدولية في الطب الشرعي الإنساني

منحت الجمعية الدولية لعلوم الطب الشرعي جائزة خاصة للجنة الدولية، إقرارا بإسهاماتها في تطوير وتعزيز علوم الطب الشرعي الإنساني الذي يعد مجالا جديدا.

وتعتبر اللجنة الدولية أول منظمة تنال هذه الجائزة الجديدة بمناسبة الاجتماع التاسع عشر للجمعية الذي يعقد كل ثلاث سنوات، وأقيم هذه المرة في **ماديرا** في البرتغال. وقال رئيس فريق الطب الشرعي في اللجنة الدولية الدكتور **موريس تيدبال – بينز**: «**اضطلعت اللجنة الدولية خلال السنوات القليلة الماضية بدور رائد في مجال ما نسميه «علوم الطب الشرعي الإنساني»، أي تسخير علوم الطب الشرعي للمساعدة على تلبية احتياجات ضحايا النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية، وليس لأغراض التحقيقات الجنائية والقضاء الجنائي فحسب**».

وأضاف: «**تعد هذه الجائزة اعترافا بأهمية العنصر الإنساني في عمل الطب الشرعي، لأن منظمة للعلوم الشرعية، يتركز نشاطها بشكل كبير على الإجراءات القضائية، اختارت أن تعترف بمنظمة تقوم بعمل إنساني بحت**».

وفي كثير من حالات النزاع، كما هي الحال في البلقان أو العراق، يتعذر نقل رفات الأشخاص الذين لقوا حتفهم، سواء كانوا من المدنيين أو العسكريين، نظرا لتذبذب الأوضاع السائدة. وتقدم اللجنة الدولية للسلطات المحلية والعاملين في مجال الطب الشرعي المشورة والدعم. وفي حالات استثنائية، مثل الافتقار الكامل إلى القدرات المحلية أو انهيارها كما هي الحال في ليبيا، تتولى اللجنة الدولية الأعمال المتعلقة بالطب الشرعي، إلا أنها تحاول جاهدة إبقاء مسألة «حلولها محل السلطات» عند الحد الأدنى.

وفي كثير من الأحيان، تتسبب حالات العنف الأخرى مثل العنف الحضري والهجرة والاتجار بالبشر، في وجود أعداد كبيرة من رفات مجهولة الهوية قد ينوء بها كاهل الهياكل المحلية المعنية بالطب الشرعي. تعمل اللجنة الدولية مع السلطات المحلية – في أماكن مثل المكسيك وجنوب أوروبا حول مسألة الهجرة، وفي كينيا وقيرغيزستان في مرحلة ما بعد الانتخابات– من أجل وضع إجراءات موحدة وبروتوكولات وتحسين مستوى الاتصال واستراتيجيات التعاون في إطار التصدي لهذه المشكلة. كما توفر أيضا التدريب التقني اللازم للتعرف على الرفات البشرية في مختلف درجات حفظها.

ومن المهم للغاية جمع الرفات البشرية في الوقت المناسب، عقب وقوع أي كارثة واسعة النطاق، كما حدث بعد زلزال هايتي في كانون الثاني/ يناير 2010، بحيث يمكن توفير المساعدة لمن بقوا على قيد الحياة، لتجاوز الصدمة التي سببتها الكارثة. تقول رئيس قسم المساعدات في اللجنة الدولية **إليزابيث توينش**: «**هذه الجائزة بمثابة اعتراف بالأنشطة التي تولتها اللجنة على مدار سنوات عدة. كما أن استخدام المنظمة لطائفة من التخصصات لمعالجة القضايا الإنسانية الأساسية واستعداد البعثات للخوض في مجالات جديدة والعمل الجاد الذي تولاه فريق الطب الشرعي، كل ذلك جاء ثمرة التفكير المشترك الذي ظهر أثناء المؤتمر الذي عقد بشأن المفقودين في العام 2003**».

السلوم:

وجبات إفطار وخدمات أخرى للعالقين على الحدود

انطلاقا من دورها في مساعدة ضحايا النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى، بدأت اللجنة الدولية عمليات مساعدة الأشخاص العالقين بمعبر السلوم على الحدود المصرية الليبية منذ شهر آذار/ مارس الماضي.

ومنذ ذلك الوقت، تواصل اللجنة الدولية توزيع وجبة الإفطار وتقديم خدمة المكالمات الهاتفية لمن يحتاجون إلى إعادة الروابط العائلية أو الحفاظ عليها بعد أن فقدوا سبل الاتصال نتيجة الصراع الدائر في ليبيا.

كما تساعد اللجنة الدولية في إصدار وثائق سفر للأشخاص الذين قبل بلد ثالث منحهم اللجوء، ولكن يفتقرون إلى وثائق هوية سليمة. وكذلك المساعدة في لم شمل العائلات المشتتة بالتنسيق مع وكالات الأمم المتحدة أو المنظمات غير الحكومية. بالإضافة إلى تبادل المعلومات حول الأشخاص المفقودين مع فرق اللجنة الدولية في ليبيا وأماكن أخرى.

ومن خلال تلك المساعدات تؤكد اللجنة الدولية على دورها في تيسير الخدمات الإنسانية المقدمة لضحايا النزاعات المتمثلين في الأشخاص العالقين بمعبر السلوم على الحدود المصرية–الليبية.

صنعاء:

أنشطة طوارئ للجنة الدولية

تبذل اللجنة الدولية للصليب الأحمر كل ما بوسعها لتلبية الحاجات الماسة للسكان في اليمن. وبالإضافة إلى أنشطتها المتعددة، منذ بدء الاضطرابات هناك، قدمت اللجنة الدولية العديد من الخدمات والأنشطة الطارئة، منها: تقديم 12 مجموعة من لوازم الإسعافات الأولية إلى اللجان الطبية في المستشفيين الميدانيين في **صنعاء** و**المكلا**، و7 مجموعات من لوازم التضميد إلى مستشفى **العلوم والتكنولوجيا** في **صنعاء** وإلى مستشفى **الرازي** في **أبين**، ومجموعة من الأدوية إلى مستشفى الرازي. كما أعادت اللجنة الدولية ملء 100 حقيبة من لوازم الإسعافات الأولية لصالح فرعي الهلال الأحمر اليمني في **صنعاء** و**عدن**، وزودت فرع **أبين** بعشر مجموعات من لوازم الإسعافات الأولية.

ونظمت اللجنة الدولية دورة في الإسعافات الأولية، بالتعاون مع الهلال الأحمر اليمني، تهدف إلى تدريب المدربين، استفاد منها حوالي 20 مدربًا في المستشفى الميداني في **صنعاء**، إضافة إلى تنظيم دورة أخرى لصالح 26 من مقدمي الإسعافات الأولية في المستشفى.

ومن ناحيته قدم الصليب الأحمر الألماني 120 مجموعة من لوازم الإسعافات الأولية لصالح فرعي الهلال الأحمر اليمني في **تعز** و**سيئون**، كما قدم 300 قبعة تحمل علامة الهلال الأحمر للمساعدة في التعرف على المتطوعين في الميدان، وست نقالات و20 علمًا للهلال الأحمر إلى فرع **سيئون**.

..وإمداد 270 ألف شخص بالمياه

قدمت اللجنة الدولية مولدين للكهرباء إلى شركة المياه والصرف الصحي المحلية في **صنعاء** لتركيبهما في محطتين لضخ المياه في العاصمة تعزيزًا للشبكة الموجودة. وساعد ذلك في إمداد أكثر من 270 ألف شخص بالمياه الأساسية لحالات الطوارئ.

ونظرًا إلى إغلاق العديد من أرباب الأعمال منشآتهم، أصبحت أعداد كبيرة من الوظائف مهددة ويكافح اليمنيون لتدبير أمورهم بالوسائل المتاحة. وإضافة إلى كل المشاكل الأخرى التي يواجهها السكان الذين كانوا يكافحون أصلًا لتوفير احتياجاتهم، أصبحت الكهرباء سلعة نادرة في مختلف أنحاء البلاد، إلى حد أن أغلبية الناس مرغمون على قضاء سهراتهم في الظلام.

ويقول **يوهانيس برونر** المسؤول عن قسم المياه والإسكان في اليمن: «**تعاني البلاد أيضًا من انقطاعات في المياه تدوم طويلًا وتجعل الناس يشعرون بقلق دائم ويخشون ألا تتوفر لديهم كميات كافية من المياه النظيفة في نهاية اليوم**».

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 2 (02+) فاكس: 25281566 2 (02+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 79 (964+) فاكس: 712266 763 (873+)
(عمّان): غرب أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 5 و 14 ص. ب. 9058 عمّان 11191 الأردن
(عمّان): هاتف: 65523994 (962+) فاكس: 65523954 (962+)
البريد الإلكتروني: iqs_ iraq@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 2 (972+) فاكس: 5917920 2 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299 1 (961+) فاكس: 740087 1 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 467709 183 (249+)
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 71 (216+) فاكس: 960156 71 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

بنغازي: شارع الأندلس، الفويهات بنغازي - ليبيا
هاتف: 7405 807 92/4429 290 92 (2180+) سات: 757 239 772 (870+)

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب ماصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21/9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 1 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–21 22645821 (98+) فاكس: 21 22600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

نواكشوط: مقاطعة ب الشمال 182 مقسم ب صندوق بريد: 5110 نواكشوط
هاتف: 38 447 52 (222+) فاكس: 97 446 52 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@icrc.org

الرعاية الصحية في خطر: واقع قاس

شكلت أعمال العنف الفعلية أو التهديد بالعنف ضد الجرحى والمرضى، وضد مرافق الرعاية الصحية، والعاملين في مجال الرعاية الصحية، إحدى أهم المسائل الإنسانية في يومنا هذا، والتي يتم تجاهلها على الرغم من ذلك.

وتستعرض هذه المطوية بإيجاز الواقع الصارخ للعنف الممارس ضد الرعاية الصحية والعاملين في مجالها.

الرعاية الصحية في خطر: الدفاع عن القضية

يهدف هذا الكتيب إلى لفت الانتباه إلى واحدة من القضايا الإنسانية الأكثر أهمية اليوم، والتي يتم تجاهلها مع ذلك، وهي قضية العنف ضد الرعاية الصحية. فالهجمات التي تستهدف مرافق الرعاية الصحية والعاملين في هذا المجال وسيارات الإسعاف، فضلًا عن الإعاقة المتعمدة لمساعي الجرحى للحصول على المساعدة، هي خصائص مشتركة للنزاعات في مختلف أنحاء العالم.

إعادة الروابط بين أفراد العائلات المشتتة

تقدم هذه المطوية ملخصا وافيا عن مشكلة الأسر التي تفرقها الحروب أو الكوارث، وتعرض السبل التي تتبعها الحركة الدولية لاستعادة الروابط العائلية، ولم شمل الأسر، والتحقق من أوضاع المحتجزين والمفقودين. كما تشمل نبذة عامة عن النتائج التي أمكن تحقيقها في كل من الصومال وهايتي وجمهورية الكونغو الديمقراطية وأفغانستان.

حماية المدنيين والعمل الإنساني من خلال معاهدة نافذة لتجارة الأسلحة

ما دام الحصول على الأسلحة أمرا سهل المنال، ستكون هناك، على الأرجح انتهاكات خطيرة للقانون الدولي الإنساني، وسوف تكتنف المخاطر تقديم المساعدات الإنسانية. يتعين على الدول وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر والمجتمع المدني القيام بدورها في التوعية بالتكلفة التي تدفعها الإنسانية نتيجة ضعف القواعد المنظمة لنقل الأسلحة. ويجب على جميع الدول إقرار معاهدة قوية وشاملة لتجارة الأسلحة لكي لا يُرخَّص بنقل الأسلحة والذخائر التقليدية في حالة وجود خطر واضح باستخدامها لارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الدولي الإنساني.

الأسلحة النووية

يثير وجود أسلحة نووية تساؤلات عميقة حول الأحوال التي يجب أن يخضع فيها حق الدول إلى المصلحة الإنسانية، وقدرة النوع الإنساني على السيطرة على التقنية التي أنتجها بنفسه، ونطاق القانون الدولي الإنساني. بوسع كل امرئ التحرك لضمان أن المباحثات الدولية سوف تفضي إلى حظر الأسلحة النووية والقضاء عليها.

يجب عدم مهاجمة العاملين في مجال الرعاية الصحية– إعلان تلفزيوني

يدعم هذا الإعلان مبادرة اللجنة الدولية الخاصة بقضية «الرعاية الصحية في خطر»، وهي المبادرة الرامية إلى تحسين أمن وتقديم الرعاية الطبية في النزاعات التي يشهدها العالم اليوم.

Geneva Conventions), the ordeal of this profession has increased and the protection of journalists has become even harder. According to «Reporters without Borders», 55 journalists were killed around the world In 2011 alone, including two in Egypt, five in Libya, one in Tunisia, six in Yemen and seven in Iraq, which means that nearly 40 percent of the reporters who died were covering events in our region.

While international humanitarian law prohibits the targeting of journalists as civilians rather than as a special category of protected persons, the responsibility for the protection of journalists/ reporters lies primarily with the reporter himself. Hence the importance of the file dealt with in this issue of «al-Insani», which includes testimonials of a large number of well-known journalists in the region, who have covered a variety of war situations and come out with experiences and conclusions that they wanted to share with other fellow journalists, perhaps with the hope that they might be useful to them in their work in the field. These testimonials are extremely rich material for readers in order to understand the nature of journalism and reporting of conflicts. It is also an invitation addressed to them to facilitate the work of journalists and protect them, because they are the fundamental intermediary that conveys the true picture on the ground to the entire world through their reports, footage, and films. Without them, any event, tragedy or war is null and void!

"Al-Insani"

Contents

• **Somalia: No Voice is Louder than the Voice of Death** By: **Sarah Nour El Din**, an Egyptian journalist.
This article is a journey that accompanies the displaced from southern Somalia, where fighting and famine are widespread, up to the capital Mogadishu, and monitors their human suffering.

• **Health Care on the Firelines** By: **Yves Daccord**, Director-General of the ICRC, Geneva
An article that sheds light on the campaign "Health Care in Danger" launched by the ICRC.

• **Clusters of Death: Victims Dreaming of a Better World** By: **Samar Al-Qadi**, Communication Officer, ICRC Beirut.
Interviews from a humanitarian perspective with a number of cluster munition victims gathered at a global conference held in Beirut on the serious consequences of these type of weapons on human beings, in addition to the text of the "Beirut Declaration" issued by the Conference.

Dossier: Media Persons .. Witnesses to War
This file includes testimonials of prominent Arab media persons having covered armed conflicts in various regions of the world. They speak about the risks they faced so that facts on the ground would reach the entire world. Their testimonals are not devoid of a moral debate of the professional dilemmas they suffered while working in the field, which sometimes seemed beyond the scope of imagination.

• **The Ethics of Armed Conflict Coverage** By: **Her Highness Princess Reem Ali**,
Founder of the Jordan Media Institute Foundation
Through her expertise in the direct coverage of the Iraq War in 2003 for CNN, the author reviews the most prominent ethical predicaments faced by journalists in the battlefield.

• **The Press Under Occupation** By: **Dr. Ghanem al-Najjar**, Professor at Kuwait
University, media consultant and expert in international humanitarian law and human rights law.
The author highlights the unique experience of publishing a Kuwaiti newspaper in Kuwait during the Iraqi occupation.

• **Patrick Baz: Many Would Want us to be Blind** By: **Marie Claire Fegali,** Former Communication Officer, ICRC Iraq.
Interview with a photographer who suffered the scourge of wars and endured their tragedies and pain.However, he says that he would never put aside the camera, but rather wishes his eyes were a camera.

• **Iraq: An Author's Experience in the World of "War Correspondents"** By: **Jawad Al-Hattab**, Director of *Al-Arabiya* channel office in Baghdad
The life of the author swayed between literature and journalism, but a conflict flared up inside him when he became a war correspondent covering several wars within his country.

• **Kuwait 1991: Using the Media to Wage War** By: **Walid Faraj**, Saudi journalist
The experience of a sports journalist who found himself in charge of covering a war!

• **Afghanistan: The Camera is a Weapon** By: **Mazen Aman**, an Egyptian journalist living in Dubai.
The author of this article almost lost his life while covering the armed conflict in Afghanistan, where he discovered for himself that real war does not in any way resemble the image conveyed by Hollywood movies.

• **The World at War: Personal Experience** By: **Amr Abdul Hamid**, an Egyptian journalist and novelist living in London
The author covered several wars, from Afghanistan to the Balkans, Iraq to Lebanon, in addition to other places where strikes broke out. Here he presents a summary of his professional experience.

• **The New Roma** By: **Amal Aweidah**, an Egyptian writer.
While working in Chad a journalist who joined an international humanitarian organization narrates stories of humanitarian workers from a journalist's perspective, and through the camera lens records 10 scenes from Chad, where a moment of joy is growing within the heart of tragedy.

• **Journalists in Danger: "Hotline!"** By: **Dorothea Krimitsas**, Deputy Director of the Communication Unit, ICRC Geneva.
The article answers an important question: What can the ICRC provide to journalists facing danger during the coverage of an armed conflict?

• **Guantanamo: Happiness on the other Side of the Screen** By: **Adnan Hizam**, Communication and Publication Officer, ICRC Sana'a.
Details of an encounter between a detainee in Guantanamo Bay and his family, provided by the ICRC's Restoring Family Links (RFL) Program.

• **Women Heads of Households in Iraq .. Problem Awaiting a Solution**.
The ICRC administered a questionnaire in Iraq, the results of which revealed many details regarding the situation and tragedy of women heads of households in Iraq.

• **Cyber Warfare and the International Humanitarian Law**
All over the world, policy makers and military commanders are considering the implications of cyber (electronic) warfare. In this dialogue, Cordola Droege ICRC Legal Adviser, explains that the existing legal framework is applicable and must be respected even in cyber space.

• **Digital Roots of the Arab Protests**, By: **Yves Gonzalez-Quijano**, Researcher at the French Institute for the Near East, Damascus
Were the Internet and social networking sites alone the cause of the changes in Tunisia and Egypt? Intense debate around the role of digital media in affecting changes on the ground.

• **Creative Iraqi Immigrants: Portrait of a Homeland in Exile** By: **Ferdous Al Abadi**, Communication Staff member, ICRC Iraq.
How is the image of home formed in exile? Three Iraqi creative artists answer the question with a mixture of nostalgia, melancholy and creativity.

• **Without Alterations: The Story of Subhi who is Torn between Two Homelands** By: **Rachid Mouawad,** Executive managing editor of the "Sudan Vision" Newspaper

• **Poetry: Two Poems** By: **Lina Tibi**, Syrian poet

• **Around the world**

Editorial

To Be a Live Witness

The second Gulf War which flared up in the 1990's represented a shift in the quality of media coverage of wars. This war was the first televised conflict, in the sense that the events thereof were often transmitted directly on air or live, to such an extent that the audience sometimes felt as if they were smelling gunpowder and rising flames! However, this new reality would never have happened had it not been for two essential elements: technological development of the means of communication in the realm of the media in the twentieth century, and field reporters who accepted being present in that hot spot, reporting on events in spite of the hazards.

Perhaps this type of media coverage of warfare is the most difficult. It requires reporters to be not only aware of and alert to the events surrounding them while registering them, but also to be wary of the risks they entail, because they might affect their personal safety and often their lives. This type of reporting is practically the only one of its kind where the reporter might shift from being a mere transmitter of news to becoming the substance of news itself ... but certainly not of good news.

In view of the increasing armed conflicts in the Arab region, especially with the widespread internal violence where international law protecting civilians, including journalists, is not applicable (such as the Four

ICRC

لم أمت لأن الحرب أجبرتني على أن أجد لي مأوى في مخيم لاجئين
لم أمت لأن المياه الملوثة التي كان عليّ أن أشربها أصابتني بالكوليرا
بل مت لأن مقاتلين سرقوا الأدوية،
وقتلوا اثنين من العاملين الصحيين